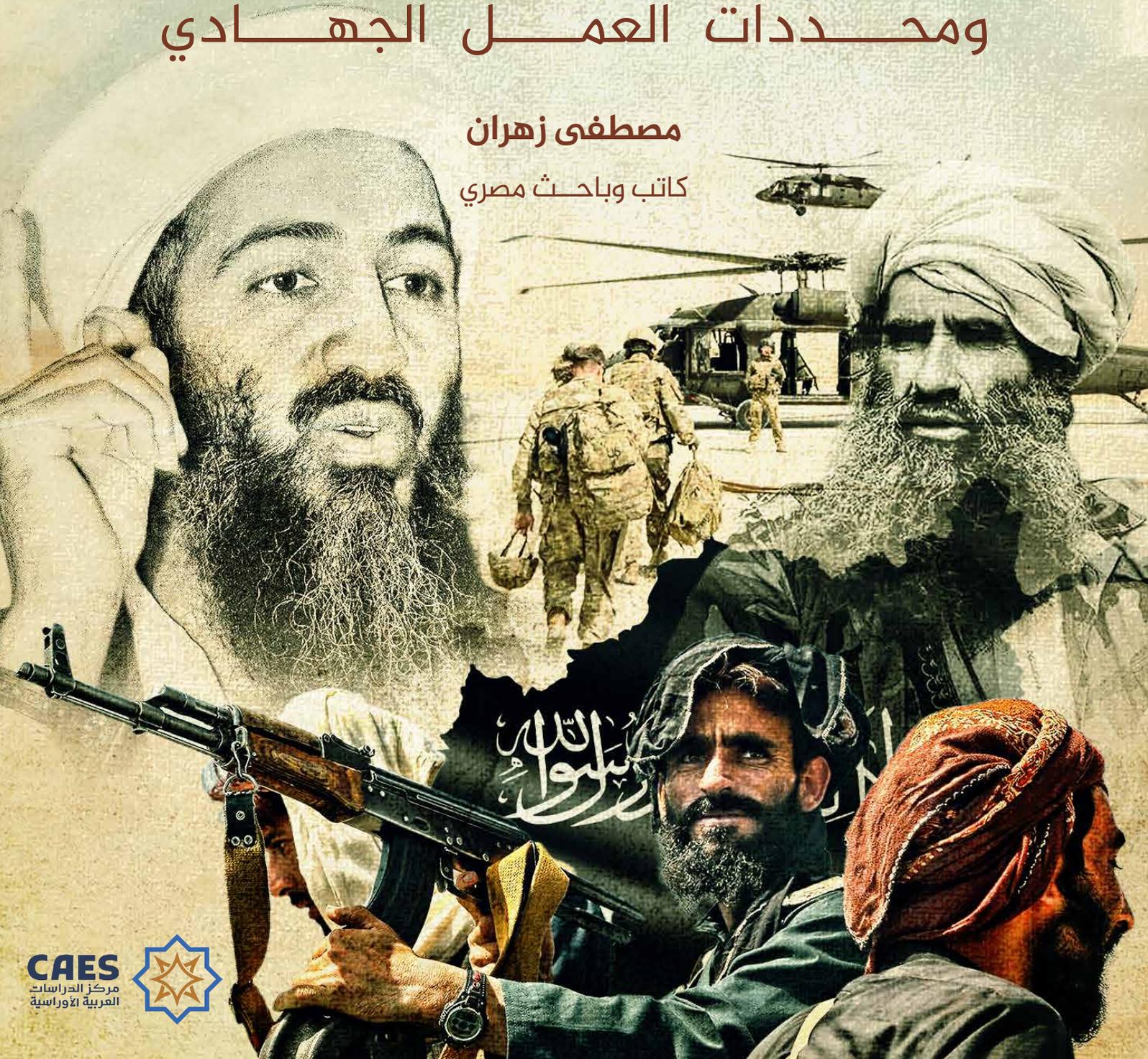


# سوسيولوجيا حركة طالبان الأفغانية المتشعبة وتشكلاتها الفكرية

ملاحم مشروعها الإسلامي والسياسي  
ومحددات العمل الجهادي

مصطفى زهران

كاتب وباحث مصري



دراسة

## سوسيولوجيا حركة طالبان الأفغانية المتشددة وتشكلاتها الفكرية:

ملامح مشروعها الإسلامي والسياسي ومحددات العمل الجهادي

مصطفى زهران



أكتوبر (تشرين الأول) 2021

# المحتويات

3	ملخص
3	ملخص تنفيذي
5	أفغانستان والتنوع العرقي وإشكالية الدولة
6	نشوء الأصولية الإسلامية في أفغانستان
7	تاريخ الحركة الإسلامية في أفغانستان
9	مقاومة الغزو السوفيتي
10	المجاهدون الأفغان وأحزابهم الإسلامية
11	باكستان والولايات المتحدة الأمريكية والجهاد الأفغاني
12	خروج السوفييت من أفغانستان
13	حركة طالبان من الهامش إلى المتن
13	ماهية الحركة
15	السمات الأيديولوجية والمرجعية الفكرية لحركة طالبان
15	أولاً: تأثيرات المدرسة الديوبندية
17	ثانياً: تأثيرات الإسلام الأصولي وتياراته الفكرية
18	ثالثاً: البعد القومي والعامل القبلي وتأثيراته في الحركة
21	طالبان والحركات الإسلامية في الداخل الأفغاني
21	أولاً: طالبان وتنظيم القاعدة
24	ثانياً: طالبان وولاية خراسان
27	ثالثاً: منعرجات علاقة طالبان بنظيرتها الباكستانية والسلطة السياسية في باكستان
30	رابعاً: طالبان والإيغور والصين
33	خامساً: الشيعة الهزارة وتخوفات إيران
35	سادساً: طالبان والإخوان المسلمون
37	حركة طالبان وروسيا وآسيا الوسطى
38	تشكيل الحكومة وإعلان الإمارة الثانية
39	الخلاصة

# ملخص

تبحث هذه الورقة في سوسيولوجيا حركة طالبان الأفغانية المتشددة، وملامح مشروعها الإسلامي السياسي ومحدداته، وذلك عقب التحولات الدراماتيكية التي شهدتها الدولة الأفغانية مؤخراً من انسحاب للقوى العسكرية الأجنبية الأمريكية والعربية، متمثلة في قوات حلف الناتو، بعد سلسلة من مفاوضات وتفاهات بينية جرت بين الحركة والولايات المتحدة الأمريكية، برعاية قطرية منذ عام 2018، عززه الانتصار العسكري الذي حققته الحركة في مواجهة القوى العسكرية الحكومية "الأفغانية"، وما أسفرت عنه من إخضاع الجغرافيا الأفغانية بأسرها لحكومتها بعد عقدين من المعارك الضارية والقتال المستمر بينها وبين القوى العسكرية الحكومية والأجنبية، الذي انتهى بدخول العاصمة كابول دون قتال؛ ما أدى إلى انسحاب القوى الأمنية الأفغانية الشريطية والعسكرية من المواجهة مع حركة طالبان من جهة، وسقوط الحكومة الأفغانية سقوطاً سريعاً ومفاجئاً من جهة أخرى؛ ما دفع الرئيس أشرف غني إلى الهروب خارج البلاد.

وتتطرق المادة إلى الرؤية العقدية والأيديولوجية لحركة طالبان تجاه الحركات والتيارات والأقليات الإسلامية المختلفة وتنوعاتها، سواء أكان ذلك في الداخل الأفغاني أم خارجه، وتداعيات ذلك على دول الجوار الإقليمي وعلاقاتها المستقبلية معها.

## ملخص تنفيذي

جاء خروج الولايات المتحدة الأمريكية وانسحاب قواتها العسكرية برفقة حلفائها من قوات دول حلف الناتو في الحادي والثلاثين من أغسطس (آب) الماضي، بعد عقدين من الزمان، عقب إعلان الرئيس الأمريكي جو بايدن أن مهمته في أفغانستان قد انتهت، ليضع الدولة الأفغانية والمجتمع الدولي، على كل المستويات: "المحلية والإقليمية والدولية"، على أبواب مرحلة جديدة ومغايرة بفعل المتغيرات الحادثة في المشهد الأفغاني، التي أسهمت في وصول حركة طالبان إلى صدارة المشهد السياسي، استعداداً للمهمة الكبرى المتمثلة في حكم أفغانستان على أنقاض دولة أشرف غني وحكومته، وأجهزتها الإدارية والعسكرية والأمنية، التي سقطت على وقع تصاعد ضربات مقاتلي طالبان في الشهور الأخيرة؛ ما أدت في نهاية المطاف إلى انهيارها، لتصبح أثراً بعد عين.

فيما أسهمت المحادثات التفاوضية التي جمعت الولايات المتحدة الأمريكية وقيادات من حركة طالبان في العاصمة القطرية الدوحة، منذ عام 2016، وانتهاءً بما تم الاتفاق عليه في أواخر حكم الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب، ثم إقراره في عهد خلفه بايدن، دون تباطؤ يذكر، في بلورة تصور مبدئي مهد لقبول حركة طالبان سياسياً قبل أن تستوعب نجاحاتها العسكرية وتمدها المستمر على الأرض، وخلال السنوات الماضية استمدت الحركة زخمها خلال سير محادثات السلام بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية والحكومة الأفغانية- بمشاركة عدد من الدول الإقليمية، مثل (روسيا، والصين، وإيران، وتركيا)- من أمرين.

الأول: جدية الحركة، ووضوح الهدف، ووحدة القيادة وما تطرحه في سياق مباحثاتها، سواء أكانت مع الولايات المتحدة الأمريكية أم مع بقية الدول الغربية الأخرى والعربية والإسلامية الراعية لها.

الثاني: غياب الرؤية السياسية للحكومة الأفغانية نتيجة التنارع الداخلي في صياغة قرارات متفق عليها، إضافة إلى وعدم وعيها بالتطورات الحادثة في المشهد السياسي الأفغاني، خاصة في العامين الأخيرين من تصاعد المعارضة الداخلية؛ لتفشي الفساد في الجهاز الإداري والحكومي للدولة تفشياً لافتاً، وتذبذب الرؤية الإصلاحية

الرئيس أشرف غني، وعدم قبوله بحكومة تشاركية تجمع كل أطراف المجتمع الأفغاني؛ ما جعله يتوعد طالبان بأنها لن ترى حكومة مؤقتة ما دام على قيد الحياة .

كل هذه العوامل أدت دوراً مهماً فيما وصلت إليه الأوضاع في الداخل الأفغاني، ولقد أشار الرئيس الأمريكي جو بايدن في خطابه التاريخي عقب دخول حركة طالبان العاصمة كابول إلى تحذيراته السابقة لحكومة أشرف غني من تفاقم الأوضاع الاجتماعية والسياسية نتيجة سياساته، ولكن دون جدوى، مشيراً إلى أن حكومته كانت سبباً فيما وصلت إليه الأمور، خاصة بعد انهيار المنظومة الأمنية العسكرية والشرطية بعد انسحاب الجنود الأفغان، وترك ملابسه العسكرية خلفهم، واستسلامهم لمقاتلي حركة طالبان دون قتال، وهو ما أثار موجة من الاستياء والإنكار الشديدين إقليمياً ودولياً مع أنه كان متوقعاً.

في موازاة ذلك، جاء ما يمكن تسميته بانتصار طالبان في المشهد الأفغاني وصعودها على هذا النحو السياسي والعسكري، ليثير عاصفة من الجدل بشأن تداعيات وصول حركة أصولية إسلامية سنية متشددة على هذا النحو إلى سدة السلطة، وذلك ليس على المستوى المحلي الأفغاني وحسب؛ وإنما على كل المستويات الإقليمية والدولية، وهو ما عمل على استنفار كل الأطراف السياسية الفاعلة على المجتمع الدولي غربياً وشرقياً وإسلامياً، للوقوف على مستجدات المشهد الأفغاني.

تتبنى التصورات الراهنة تجاه حركة طالبان وتزايد التخوفات من صعودها الحالي، انطلاقاً مما أحدثته في فترة حكمها الأول في تسعينيات القرن الماضي، من أفعال وأحداث ما زالت آثارها باقية حتى اللحظة، وكانت في مجملها سبباً رئيسياً لقدم الولايات المتحدة الأمريكية بقواتها العسكرية لغزو أفغانستان، خاصة بعد حادثة تفجير برج التجارة العالمي 2001، وإعلان تنظيم "القاعدة" الإسلامي المتطرف مسؤوليته عنها، الذي كانت حركة طالبان تحتضن قيادته آنذاك، وعلى رأسهم القيادي السابق أسامة بن لادن، وأمير التنظيم الحالي الطبيب المصري أيمن الظواهري.

ومن الأمور التي تثير عاصفة أخرى من التخوفات هو أن انتصار طالبان ووصولها إلى السلطة في اللحظة الراهنة يجيء في الذكرى العشرين لتفجيرات الحادي عشر من سبتمبر (أيلول)، في ظل حديثٍ عن علاقات لم تنقطع بين حركة طالبان وتنظيم القاعدة بزعامة أيمن الظواهري .

يسعى هذا العمل إلى سبر أغوار حركة طالبان الأفغانية المتشددة وتفكيكها سوسولوجياً، ومعرفة الأسس الفكرية والعقدية والأيدولوجية التي انطلقت منها وشكلت وعيها السياسي والديني والمجتمعي. وفي خضم صعودها الثاني وحكمها لأفغانستان، وما تطرحه من "إمارة المؤمنين" كمقابل للتشكل الدولتي الحالي، تقدم الدراسة مقارنة لملاح مشروع الإمارة الإسلامية في فكر حركة طالبان، وإشكالية تطبيق الشريعة الإسلامية وتمظهراتها في الداخل الأفغاني.

تظل إشكالية العلاقة بين حركة طالبان وتنظيم القاعدة (منظمتان إرهابيتان محظورتان في روسيا) على رأس القضايا المحورية المهمة والأكثر خطورة في آن، ولا تزال ملغاً غامضاً بالنسبة إلى الكثيرين، وهو ما نسعى في هذا العمل إلى تقديم تصور له وفق معطيات الواقع والمعلومات المتاحة، واستشراف مآلاته، ويستدعى ذلك معرفة كيف تنظر الحركة إلى التيارات والأقليات الإسلامية المختلفة وتنوعاتها، سواء أكان ذلك في الداخل الأفغاني أم خارجه، وخاصة (داعش - ولاية خراسان) الخصم الجهادي الأبرز.

ويقدم العمل في نهايته تصوراً استشرافياً لمستقبل حركة طالبان الأفغانية في قدرتها على إدارة الدولة ومكوناتها العرقية والمذهبية، ومدى صمودها، والتحديات والعقبات القائمة، ومسارات علاقاتها مع دول الجوار الإقليمي.

## أفغانستان والتنوع العرقي وإشكالية الدولة

تقع أفغانستان في جنوب آسيا، وتعد من الدول الحبيسة (دولة غير ساحلية)، ولها حدود مشتركة في الجنوب مع باكستان، وفي الغرب مع إيران، وفي الشمال مع طاجيكستان وأوزبكستان وتركمانستان، وفي الشرق مع الصين<sup>1</sup>، ويشكل المسلمون السنّة 90٪ من تعداد سكان أفغانستان، مع وجود أقلية شيعية تقارب الـ10٪<sup>2</sup>، والباقي من الهندوس والسيخ والمسيحيين<sup>3</sup>، فيما تتنوع العرقيات والإثنيات في الداخل الأفغاني وتتنوع على النحو التالي: (يأتي البشتون في الصدارة بنسبة 42٪ من مجموع السكان، يليهم الطاجيك 27٪، ثم الأوزبك، والهزارة الشيعة، والتركمان، والبلوش، وأقليات صغيرة أخرى)<sup>4</sup>.



خريطة سياسية لأفغانستان، المصدر: بي بي سي عربية

تتمركز الغالبية العظمى من شعوب البشتون في شرق البلاد وجنوبها، إلا أن أجزاء منهم مؤخراً باتوا ينتشرون في الشمال والغرب، ونظراً لكونهم العرقية الأهم والأكثر عدداً، فإن ذلك أهدل لهم الريادة والقيادة على مر العصور في الأراضي الأفغانية، أو بعبارة أدق أصبحوا (المالك الحصري للتفويض السياسي في أفغانستان)، فيما يأتي الطاجيك في المرتبة الثانية من حيث الانتشار والتأثير في المجتمع الأفغاني، كمجموعة عرقية تحظى بمكانة اجتماعية رفيعة، شأنها في ذلك شأن عرقية البشتون، وينتشرون في الأجزاء الشمالية الشرقية من بدخشان وبنجشير وهرات، وأجزاء أخرى من البلاد، أما الأوزبك فهم بالأساس شعوب تركية اتخذت من الأجزاء الشمالية من أفغانستان والحدود الشمالية للبلاد مع أوزبكستان مستقراً وسكناً، ثم تفرقوا وتشتتوا في مدن مزار وميماننا وخان آباد وقندوز، والعرقيات الثلاث

1. Terrorist movements in Afghanistan, attitudes towards the status of radical fundamentalist forces in Islamic post awakenings, Published: December 31, 2018, Younes Forouzan, Abdolreza Alishahi

<https://2u.pw/OzaoB>

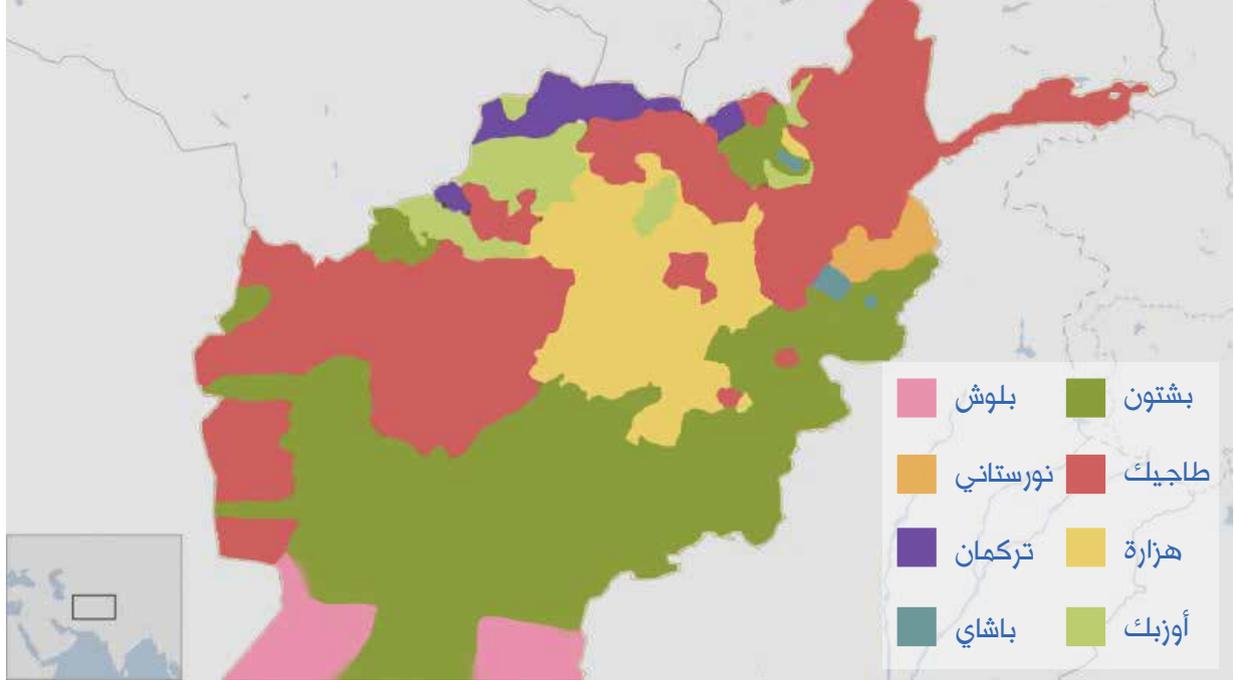
2. ملامح المشروع السياسي لطالبان، كرم الحفيان، المركز المصري للدراسات، يوليو، 2019، <https://2u.pw/iijdi>

3. Terrorist movements in Afghanistan, attitudes towards the status of radical fundamentalist forces in Islamic post awakenings, Published: December 31, 2018, Younes Forouzan, Abdolreza Alishahi

<https://2u.pw/OzaoB>

4. تجربة طالبان.. قراءة خلدونية سوسولوجية في جذور الحركة وظهورها، مركز المجدد للبحوث والدراسات، 31 مايو، 2021، <https://2u.pw/5iAx5>

(البشتون، والطاجيك، والأوزبك) جميعها تنتمي إلى المذهب الإسلامي السني<sup>5</sup>. وتزاحم هذه المكونات العرقية الثلاثة في البلاد مجموعات أخرى من الأقليات، مثل القزلباش، والتركمان، والقيرغيز، فضلا عن الهزارة، الذين ينتمون إلى المذهب الإسلامي الشيعي الثني عشري.



الأعراف الرئيسية في أفغانستان، المصدر: المعهد الديمقراطي الوطني، أ.ف.ب. وب.بي سي عربية

نظراً إلى هذا التنوع العرقي والإثني والتمايز القبلي والهوياتي، أصبحت أفغانستان واحدة من الدول القليلة في العالم التي تحظى بهذا الكم الكبير من تنوع للإثنيات والعرقيات، وانعكس ذلك بشدة على مساراتها السياسية خلال تاريخها الحديث والمعاصر، إذ إنه بعد سنوات من الاستقلال (1919) لم تكن هناك هوية وطنية مشتركة لجميع هذه المجموعات العرقية في هذا البلد، فنتجت عنه ذلك صعوبة كبرى في مسألة تداول السلطة السياسية، أو التمثيل السياسي في مجتمع محاط بقدر كبير من الإثنيات والقبائل، حتى أصبح لمجمل هذه العرقيات المتباينة دور رئيسي في تشكيلها، فضلا عن أن أي محاولة انفراد عرقية دون أخرى قد تجلب كثيراً من المشكلات والاضطرابات، وهي سمة عايشتها أفغانستان عقوداً من جرائ ذلك<sup>6</sup>.

## نشوء الأصولية الإسلامية في أفغانستان

أدى احتلال القوات السوفيتية لأفغانستان عام 1979، إلى زعزعة ميزان القوى في جنوب آسيا، ومعها بدأت هجرات الإسلاميين من العرب وغيرهم، لمؤازرة المجاهدين الأفغان لمواجهة الاحتلال السوفيتي، فيما نشطت التيارات الإسلامية في التحفيز نحو ذلك بهدف إخراجهم من أفغانستان، وإنشاء الدولة الإسلامية المنشودة كمقدمة لقيام الخلافة الإسلامية وفق المخيال الجهادي للمقاتلين العرب والأفغان في ذلك الوقت على حد سواء، مع الوقت طفت على السطح ظاهرة "الأفغان العرب" الذين كانوا أكثر ارتباطاً بوجهة النظر السلفية، فضلا عن قربهم من الجماعات

5. Terrorist movements in Afghanistan, attitudes towards the status of radical fundamentalist forces in Islamic post awakenings, Published: December 31, 2018, Younes Forouzan, Abdolreza Alishahi

<https://2u.pw/OzaoB>

6. المصدر السابق

الجهادية المنظمة، مثل الجهاد، والجماعة الإسلامية في مصر، والإسلاميين الجزائريين، وغيرهم، حيث حفزت الحرب في أفغانستان على تعزيز الجهاد العابر للحدود، وتنوع أنماطه الراديكالية، خاصة بعد الانتصار على الإمبراطورية الحمراء، مما أدى إلى استتعار الإسلاميون على اختلاف صنوفهم، وخاصة الأفغان منهم، أن الأيديولوجية الإسلامية المقترنة بالقوة مجتمعين قادران على أن يغيروا العالم أجمع، ويكسروا أي قوة<sup>7</sup>.

بيد أن تفسيرات الإسلاميين، خاصة الأفغان منهم، التي تراكفت مع صعود الأصولية الإسلامية هناك، أدت دوراً في توسيع الهوة بين المكونات العرقية في المشهد المجتمعي الأفغاني، حتى أصبحت عقبة كبرى في عملية بناء أمة أفغانية موحدة غير مقسمة عرقياً أو مجزأة طائفيًا- مع أن الإسلام السني التقليدي الذي يدين به غالبية الأفغان لا يعترف بهذه التقسيمات العرقية والمذهبية- بينما أدى ظهور الأصولية الإسلامية إلى مزيد من الانقسام والانشطار المجتمعي، التي اسمها الكثير من العوامل الداخلية والخارجية في ظهورها، كان أبرزها احتلال الجيش الأحمر السوفيتي لأفغانستان من جهة، وما قدمته الولايات وباكستان وبعض الأنظمة العربية من دعم عسكري ومالي لظاهرة المجاهدين الأفغان- سنتناولها بالتفصيل لاحقاً- لتعزيز وجودها من جهة أخرى<sup>8</sup>.

## تاريخ الحركة الإسلامية في أفغانستان

تذكر السرديات الأفغانية الإسلامية أن ظهور الحركة الإسلامية في أفغانستان جاء- كما في أماكن أخرى من العالم الإسلامي - بهدف الوقوف أمام ما كانوا يرونه- من وجهة نظرهم- "مخططات التحديث التي بدأت في أواخر الخمسينيات" الممولة من الاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت.

واللافت أن الدولة الأفغانية قد شهدت في هذه الفترة نشاطاً تحديدياً مهماً شمل تصاعداً في أعداد المدارس والمحاكم والأنشطة الاقتصادية والاتصالات وغيرها، وأدت الهجرة الحضرية دوراً مهماً في هذا السياق، وفي عملية التحديث، وهو ما نتجت عنه زيادة رقعة الطبقة المتوسطة الأفغانية ونواتها الطبقة المتعلمة والمثقفة، لكن هذه النهضة "التحديدية"، كانت مقتصرة على بعض المدن الكبرى، ولم تشمل المناطق الريفية والمدن الطرفية، وهو مدخل مهم لفهم أسباب انتماء غالبية المؤسسين للحركة الإسلامية الأفغانية للريف، فلقد قدموا من المناطق الريفية للالتحاق بمؤسسات التعليم العالي الحديثة في كابل، وليس من مدارس تقليدية، وهو أمر قد يكون مسؤولاً عن تشددهم<sup>9</sup>.

كان لهؤلاء الأساتذة والطلاب المتعلمين الذين تلقوا تعليماً حديثاً دور مهم ورئيسي في تشكيل الحركة الإسلامية الأفغانية في النصف الثاني من القرن الماضي، ويذكر قلب الدين حكمتيار- زعيم الحزب الإسلامي الأفغاني، وأحد قادة المجاهدين الأفغان فترة الغزو السوفيتي- أن نواة الحركة الإسلامية الأفغانية، كانت اثنا عشر طالباً جامعياً كان هو على رأسهم، وأن هؤلاء الطلاب سعوا إلى ضم الأساتذة من خلال دعوتهم للانضمام إلى الحركة الإسلامية الناشئة، إلا أنهم جميعهم لم يلبوا الدعوة، ورفضوا الانضمام، وهو ما يتعارض مع رواية البروفيسور غلام محمد نيازي، الذي أكد ما يناقض ذلك بأنه وعدداً آخر من الأساتذة كانوا من مؤسسي الحركة الإسلامية الأفغانية، ويعلق حكمتيار على ذلك بقوله "إن الأستاذ نيازي كان يدعم الحركة، لكنه لم يكن عضواً رسمياً فيها"، وأرجع حكمتيار ذلك إلى أنهم "بصفتهم موظفين في الدولة، لم يرغبوا - أي الأساتذة- في الانضمام إلى حركة تعارضها"<sup>10</sup>.

رغم التباين في رواية نشوء الحركة الإسلامية، والتجاذب بين روايتي الأساتذة والطلاب، فإن ذلك لا ينفي دور الأساتذة الأفغان في تأسيس الحركة الإسلامية الأفغانية؛ إذ إنهم بحسب العديد من الخبراء، قد أسهموا إسهاماً كبيراً في بلورة

7. المصدر السابق

8. Terrorist movements in Afghanistan, attitudes towards the status of radical fundamentalist forces in Islamic post awakenings, Published: December 31, 2018, Younes Forouzan, Abdolreza Alishahi, <https://2u.pw/OzaoB>

9. Kakar, M. Hassan Afghanistan: The Soviet Invasion and the Afghan Response, 1979-1982. Berkeley: University of California Press, c1995 1995

[/http://ark.cdlib.org/ark:/13030/ft7b69p12h](http://ark.cdlib.org/ark:/13030/ft7b69p12h)

10. المصدر السابق

تصورات إسلامية مهمة في مرحلة التأسيس، ثم مقاومة الغزو السوفيتي، خاصة أن هناك كثيراً من المؤثرات الإسلامية المشرقية التي شكلت وعيهم السياسي، ومعتقدهم الإسلامي فيما بعد.

عمل غلام محمد نيازي (1932-1978)، عام 1957 على تأسيس خلية صغيرة في مدرسة "أبو حنيفة" في باغمان بعد عودته مباشرة من مصر، حيث حصل على درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية من جامعة الأزهر، وضم مجموعة من المعلمين تزايد عددهم، خاصة بعد سقوط رئيس الوزراء محمد داود خان (1909-1978)، عام 1963، وكانوا يعقدون بانتظام اجتماعات سرية في كابول، وبحلول عام 1969، شكّل الإسلاميون مجموعة عمل سياسي مع البروفيسور نيازي، وتحت إمرته<sup>11</sup>.

مع بدايات العقد السابع، وتحديدًا عام 1973، بدأت الحركة الإسلامية الأفغانية مرحلة التنظيم والهيكلية من خلال تسجيل أعضائها، والانتقال من مرحلة السرية إلى العلن، وبادرت بتشكيل مجلس شورى قيادي، واختير برهان الدين رباني (1940-2011)، المحاضر في كلية الشريعة بجامعة كابول، رئيسًا للمجلس، وتم الاعتراف بغلام محمد نيازي، الذي كان يعمل آنذاك عميدًا للكلية، قائداً أعلى، واختار المجلس لاحقاً اسم الجمعية الإسلامية، ووضع المجلس على عاتقه مهمة الإطاحة بالنظام الحاكم، وإقامة "النظام الإسلامي"، وتطبيق الشريعة وفق مفهومهم في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.<sup>12</sup>

كانت تأثيرات إسلامي المشرق العربي واضحة المعالم في قادة الجهاد الأفغاني خلال تلك الفترة، خاصة أفكار حسن البنا (1906-1949)، مؤسس جماعة "الإخوان المسلمون" (منظمة إرهابية محظورة في روسيا)، وأدبيات المنظر الأصولي المصري سيد قطب (1906-1966)، الذي ترجمت كثير من أعماله وأفكاره من العربية إلى لغات كثيرة، ويتبدى التأثير القطبي في رجالات الجهاد الأفغاني- على سبيل المثال لا الحصر- في موقف برهان الدين رباني من الديمقراطية التي يرى إدخالها للمجتمع الإسلامي، وغيرها من النظريات الغربية ضد التعاليم والأصول الإسلامية، وهناك أيضاً مولوي محمد يونس خالص (1919-2006)، أحد قادة الجهاد الإسلامي ضد السوفييت، الذي يؤكد رفضه الشكل الجمهوري للحكم، فضلاً عن تحريمه المشاركة في الانتخابات العامة، ويطرح الشورى- مجلس شورى أهل الحل والعقد- بديلاً إسلامياً أصيلاً لذلك كله، وهو الذي يتكون من المسلمين الأتقياء والعادلين، ووظيفته المخولة له هو انتخاب "مسلم" للقيادة والزعامة على أساس الكفاءة والشريعة الإسلامية- حسب وصفه- إذ كان هدف الإسلاميين في ذلك الوقت هو إقامة النظام الإسلامي من خلال "الثورة الإسلامية" التي تهز أرجاء العالم الإسلامي والعربي بأسره.<sup>13</sup> لقد كانت أحلامهم تتجاوز المحلية وتعاقد العالمية بفعل منظري الإسلام المشرقي.

عرفت هذه الأفكار الإسلامية المشرقية، جنباً إلى جنب المفكرين الأصوليين الثوريين- كما سنبين لاحقاً- طريقها إلى الجامعات الأفغانية في العاصمة كابول، وتحديدًا المعاهد الدينية المتخصصة، وكذلك المدارس الدينية، مثل مدرسة "أبو حنيفة"، وغيرها، التي أدى فيها الأساتذة العرب المهاجرون، دوراً مهماً في نشر الأفكار الإسلامية، بشقيها الحركي السياسي والأصولي الثوري، ولم يقف تأثيرهم عند حدود التدريس ومناهجه؛ بل امتد ليشمل مراحل تثقيفية عدة، من كتابة المقالات والتقارير في الصحف والمجلات المحلية، مثل صحيفة "الجحيز" الأسبوعية التي تأسست عام 1968، وكان محررها "منهاج الدين جاحظ"، الذي اغتيل على يد يساري راديكالي عام 1972، لدورها البارز في معاداة الشيوعية في ذلك الوقت، وهو ما كان سبباً في تعدد الجمعيات الإسلامية المناهضة للشيوعية، مثل جمعية "خدام الفرقان"، وجمعية "العلماء المحمديون"، وجمعية "قيام الإسلام"، وغيرها.<sup>14</sup>

11. المصدر السابق

12. Kakar, M. Hassan Afghanistan: The Soviet Invasion and the Afghan Response, 1979-1982. Berkeley: Univer-  
sity of California Press, c1995 1995  
[/http://ark.cdlib.org/ark:/13030/ft7b69p12h](http://ark.cdlib.org/ark:/13030/ft7b69p12h)

13. Kakar, M. Hassan Afghanistan: The Soviet Invasion and the Afghan Response, 1979-1982. Berkeley: Univer-  
sity of California Press, c1995 1995  
[/http://ark.cdlib.org/ark:/13030/ft7b69p12h](http://ark.cdlib.org/ark:/13030/ft7b69p12h)

14. المصدر السابق

# مقاومة الغزو السوفيتي

اتسمت المقاومة الأفغانية للغزو السوفيتي بسمة مغايرة عن غيرها من حركات المقاومة العربية والإسلامية الأخرى، حيث كان يقودها في غالبيتها العلماء والرموز الدينيون والسياسيون التقليديون، فكما عرضنا سابقاً، شكّل الأساتذة والمعلمون نواة المقاومة الأفغانية وعمادها.<sup>15</sup>

لا شك أن الانتقال من مجتمع تقليدي إلى آخر حديث في إطار عملية التحديث التي أطلقها محمد داود خان، رئيس الوزراء في خمسينيات القرن الماضي وستينياته، قد أدى دوراً مهماً في تأطير هذه المجموعات العلمية وتنظيمها في أحزاب سياسية، في ظل سياق دعم هذا التحول، على نطاق عريض، ونتجت عنه زيادة عدد الطلاب والدارسين بسبب سياسات التحديث تلك، ووصل إجمالي عددهم من (667,500) عام 1970 إلى (888,800) عام 1976<sup>16</sup>، وتم ذلك كله تحت مظلة العلمنة التي كانت تياراً رئيسياً في ذلك الوقت.<sup>17</sup>

لقد كانت الستينيات عقداً من الاضطرابات الطلابية في جميع أنحاء العالم، وكانت كابول جزءاً لا يتجزأ من ذلك، فأضحت الجامعات والمعاهد التعليمية المدنية والدينية وغيرها على قدر كبير من الوعي السياسي والفهم لما يجري حولها، وعقب الإطاحة بالنظام الملكي، وفي أثناء حكم الخالقي (خلق: حزب يساري شيوعي كان بزعامة محمد نور طه) قمعت الأحزاب داخل البلاد، وقام بعضهم بأنشطة انطلاقاً من باكستان.

حينما جاء الغزو السوفيتي، نشطت حركة المقاومة انطلاقاً من القاعدة التي شكلتها فترة الستينيات والسبعينيات، إذ كانت الأرض مهيأة لمقاومة جديدة ومغايرة، مع أنها كانت تشمل التوجهات الإسلامية والقومية واليسارية، وذلك في أعقاب الهجرة الجماعية للأفغان عام 1980، إلى باكستان، التي تشكلت على إثرها 84 مجموعة مقاومة صغيرة وكبيرة في بيشاور، وبحلول يوليو 1981، أخذت المقاومة طوراً جديداً أكثر تنظيماً.<sup>18</sup>

في الواقع، شكلت الجماعات الإسلامية العمود الفقري لحركة المقاومة، كان بعضها تقليدياً، وبعضها الآخر جديداً في التكوين الأيديولوجي؛ إذ كانت المجموعات تتوزع بين الأصولية والثورية، ولم تكن أهدافهم في ذلك الوقت مقاومة الغزو وحسب؛ ولكن أيضاً إعادة تنظيم الدولة والمجتمع؛ ولهذا السبب لم تنته قصتهم بصد الغزو.<sup>19</sup>

في أعقاب ثورة 1973، وقيام الجمهورية الأفغانية، ازداد التقارب بين نظام محمد داود خان والاتحاد السوفيتي، ثم حزب الشعب الديمقراطي، وتقلد كثير من الشيوعيين مناصب عديدة حساسة تمكنوا خلالها من إقناع داود بخطرته الإسلامية على أمن البلاد واستقرارها، وأن الواجب اعتقالهم، وبالفعل اعتقل داود عدداً كبيراً من القيادات الإسلامية، أبرزهم "علام محمد نيازي"، في حين استطاع آخرون، مثل برهان الدين رباني، وقلب الدين حكمتيار، وأحمد شاه مسعود (1953-2001)، الفرار إلى دول أخرى، ولم تكن موجة الاعتقالات مقصورة على الإسلاميين فقط؛ بل شملت أيضاً بعض القيادات الشيوعية، حيث كان داود يناور المعتقلين حسب الموقف، خاصة مع الاتحاد السوفيتي، فإذا كانت العلاقات طيبة أفرج عن الشيوعيين، وإن لم تكن كذلك استمر في اعتقالهم.<sup>20</sup>

15. المصدر السابق

16. Kakar, M. Hassan Afghanistan: The Soviet Invasion and the Afghan Response, 1979-1982. Berkeley: University of California Press, c1995 1995  
<http://ark.cdlib.org/ark:/13030/ft7b69p12h/>

17. المصدر السابق

18. Kakar, M. Hassan Afghanistan: The Soviet Invasion and the Afghan Response, 1979-1982. Berkeley: University of California Press, c1995 1995  
<http://ark.cdlib.org/ark:/13030/ft7b69p12h/>

19. المصدر السابق

20. Kakar, M. Hassan Afghanistan: The Soviet Invasion and the Afghan Response, 1979-1982. Berkeley: University of California Press, c1995 1995  
<http://ark.cdlib.org/ark:/13030/ft7b69p12h/>

بعد سنوات، حاول الإخوان المسلمون (منظمة إرهابية محظورة في روسيا) القيام بمحاولة انقلابية على نظام داود، حيث قرر حكمتيار ورباني ومسعود- وكانوا قد تولوا مراكز قيادية في أحزاب تحت التأسيس- الإطاحة بـداود؛ بأن يهاجموا عواصم ولايات بانشير وكر وقندهار وبدخشان، وكذلك كابول، وذلك في الثاني والعشرين من يوليو (تموز) 1975، إلا أنهم فشلوا في تنفيذ الخطة؛ لأنهم لم يتمكنوا من الحصول على أي دعم من الجيش الأفغاني، مع أن خطتهم بنيت على أساس أن مجموعات عسكرية معارضة لنظام داود سوف تساعدهم.<sup>21</sup>

بعد فشل الانقلاب عاد قاداته إلى باكستان بعد مقتل معظمهم، وسجن بعضهم الآخر، إضافة إلى إعدام ثلاثة منهم، وإدخال 69 السجن، وقد أحدث هذا الانقلاب انقسامًا داخليًا في صفوف الإخوان.<sup>22</sup>

يذكر حكمتيار أن العمليات العسكرية للمجاهدين أجبرت داود على إعادة النظر في سياساته الداخلية، وكذلك الخارجية، ما دفعه إلى محاولة التقرب إلى الإسلاميين على حساب بعض الشيوعيين، وحاول في هذا الإطار على المستوى الخارجي إقامة علاقات ودية مع دول إسلامية وعربية؛ من أجل توطيد علاقته بها، مثل باكستان، والسعودية، وإيران، بهدف تحسين العلاقات بالدول البعيدة عن موسكو، وما دفعه نحو ذلك استشعاره أن شعبيته بدأت تتراجع نتيجة قربها من الشيوعيين، ولكنه لم يكن جادا في هذا المسعى.<sup>23</sup>

هذه التغييرات جعلت الشيوعيين يشعرون بالقلق وعدم الاطمئنان على مواقعهم؛ ومن ثم كان واجبًا عليهم سرعة التحرك، فكانت ثورة أبريل (نيسان) 1978، وبذلك شهدت الفترة السابقة محاولة انقلاب فاشلة بقيادة الإخوان في يوليو (تموز) 1975، وثورة شيوعية عام 1978.<sup>24</sup>

ويمكن النظر إلى تلك المحاولات على أنها إرهابات تمهيدية للمقاومة الأفغانية ضد النظام السوفيتي، التي ستأتي لاحقًا بعد أن تم استهداف وكلائه في الداخل الأفغاني، ممثلين في نظام داود.

ويمكن القول إن المقاومة الإسلامية للنظام الشيوعي هي بداية المقاومة الفعلية، التي انبثقت تلقائيًا من بين مختلف الفئات الأفغانية ذوي الدوافع المتعددة، ما كان له عظيم الأثر بعد ذلك في عدم توحيد كلمة المجاهدين، وتحولها مستقبلًا في أعقاب جلاء الاتحاد السوفيتي عن أفغانستان، إلى حرب أهلية بين فصائل المجاهدين أنفسهم.<sup>25</sup>

## المجاهدون الأفغان وأحزابهم الإسلامية

تشكلت كتائب المقاومة الإسلامية للمجاهدين الأفغان من سبعة فصائل رئيسية، نجلها على النحو التالي:

- **الحزب الإسلامي الأفغاني:** بقيادة قلب الدين حكمتيار، وهو حزب سياسي عسكري يتمتع بنفوذ كبير في مناطق الحدود مع باكستان وشرق أفغانستان، وهو حزب ينتمي إلى أقوام البشتون، تأسس عام 1973م.
- **الحزب الإسلامي الخالص:** بقيادة مولوي محمد يونس خالص، وهو حزب انشق عن الحزب الإسلامي، وكان له نفوذ كبير في مناطق ننكرهار وبيكتا، وانضم إليه عدد كبير من علماء الدين وعدد كبير من البشتون.
- **الجمعية الإسلامية الأفغانية:** بقيادة برهان الدين رباني، وكان لها نشاط سياسي قبل الحكم الشيوعي، وشكل رباني بمعاونة زميله عبدالرحيم نيازي أول جماعة جهادية، وانضم إليه قومه من محافظة بدخشان، واستطاع أن يمد نفوذه بين الطاجيك والفرس، واختار أحمد شاه مسعود لقيادة الجناح العسكري للجمعية.

21. Kakar, M. Hassan Afghanistan: The Soviet Invasion and the Afghan Response, 1979-1982. Berkeley: University of California Press, c1995 1995

<http://ark.cdlib.org/ark:/13030/ft7b69p12h>

22. موسوعة مقاتل من الصحراء، الأزمة الأفغانية (تاريخيًا، وسياسيًا، وعسكريًا)، المبحث الخامس- المقاومة الأفغانية.

<https://2u.pw/BLUZn>

23. المصدر السابق

24. موسوعة مقاتل من الصحراء، الأزمة الأفغانية (تاريخيًا، وسياسيًا، وعسكريًا)، المبحث الخامس- المقاومة الأفغانية.

<https://2u.pw/BLUZn>

25. المصدر السابق

- **الاتحاد الإسلامي للمجاهدين الأفغان:** بقيادة عبدرب الرسول سياف، ويشبه في تنظيمه جماعة الإخوان، وينتمي إلى البشتون.
- **حركة الثورة الإسلامية الأفغانية:** بقيادة مولوي محمد بنى محمدي عام 1978.<sup>26</sup>
- **الجبهة الوطنية لتحرير أفغانستان:** بقيادة صبغة الله مجددي، أسسها عام 1978م، وهو أستاذ سابق للفلسفة في كابول.
- **الجبهة الإسلامية الوطنية:** بقيادة سيد أحمد بير جيلاني، وهو ينتمي إلى البشتون.

أما أحزاب الشيعة فكانت ضعيفة مقارنة بالسنية، ومنها (حزب الوحدة، وحركة نصر، وحركة الشورى، والاتفاق، وحرس الجهاد، والحركة الإسلامية، وحزب الله)، وكان الحزب الإسلامي بقيادة قلب الدين حكمتيار، والجمعية الإسلامية بقيادة برهان الدين رباني، أكثر الأحزاب نشاطاً وتأثيراً في حركة الجهاد الأفغاني. وكانت لديهما الإمكانيات التي تؤهلها للتأثير في اتخاذ القرار، وتوحيد كلمتهما من أجل مصلحة الشعب الأفغاني، إلا أنه حدث العكس، خاصة حين اشتد الخلاف بين أحمد شاه مسعود وحكمتيار.<sup>27</sup>

كان الاختبار الصعب لهذه التشكلات الحزبية والجماعية للمجاهدين الأفغان، التي تشكلت بين عامي 1978 و1980، يتمثل في قدرتهم على تحقيق قدر من التوازن بين العمل العسكري والآخر الإداري، ولا شك أن الواجبات الإدارية كانت أعباءً إضافية على العمل العسكري، وقد تفوق أهميته في بعض الأحيان.

ويمكن الوقوف على هذه الإشكالية التي كانت حاضرة في المشهد الأفغاني بقوة في الممارسات السلوكية والإجرائية لعدد من أحزاب المجاهدين على اختلاف تنوعاتها وأسماؤها، منها على سبيل المثال ما كان يمارسه الحزب الإسلامي الذي كان يتزعمه قلب الدين حكمتيار مع خصومه ممن يعارضون توجهه السياسي والأيديولوجي الفكري والعقدي، من عمليات اغتيال وتعذيب واعتقال أكثر صرامة، وقد نجد لدى حزب الجمعية الإسلامية الأفغانية بقيادة رباني السلوكيات والإجراءات نفسها، ولكن بأقل حدة، واللافت أن هذا يحدث بين التشكلات الجهادية الأفغانية نفسها وليس مع خصومهم من الشيوعيين، أو أصحاب التيار العلماني في الداخل الأفغاني أو خارجه، ومع تلك الممارسات التي كان البعض داخل المجتمع الأفغاني ينكرها، فإن كل هذه الأحزاب كانت تستمد شرعيتها من موقفها الإسلامي المنطلق من قاعدة صد الغزو السوفيتي؛ إذ إن كثيراً من الأفغان كانوا يتصورون أن حربهم هي حرب عقديّة ضد الإلحاد.<sup>28</sup>

ولكن هذه الرؤية لم تصمد طويلاً بعد أن كشفت سوءات المجاهدين الأفغان، وتناحر الفرقاء الإسلاميون فيما بينهم بعد جلاء الغزو السوفيتي.

## باكستان والولايات المتحدة الأمريكية والجهاد الأفغاني

المتتبع لسير الأحداث التاريخية في المشهد الأفغاني منذ النصف الثاني من القرن الماضي، يجد متلازمة ثابتة بين الدور الباكستاني والمسارات السياسية للدولة الأفغانية، وأسهمت كل من الجغرافيا التضاريسية - بحكم كونها بلدين جارين - من جهة، والقواسم العرقية والإثنية الممتدة بينهما من جهة أخرى، في تعزيز دورها وتجديره، خاصة في البنى المجتمعية الدينية الأفغانية.

دعمت باكستان الجهاد الأفغاني عام 1981، وشكلت من هذه الجماعات الإسلامية تحالفاً كبيراً، وكان التحالف يتألف فقط من الجماعات الإسلامية السنية التي وافقت عليها باكستان، وكان دعم باكستان حاسماً من خلال استخباراتها

26. صيف أفغانستان الطويل من الجهاد إلى الإمارة، الفصل الثاني: الحركة السياسية في مواجهة سياسات الانقلابات، د. أحمد موفق زيدان، دار لبنان للنشر والطباعة، 2021

27. موسوعة مقاتل من الصحراء، الأزمة الأفغانية (تاريخياً، وسياسياً، وعسكرياً)، المبحث الخامس - المقاومة الأفغانية.

<https://2u.pw/BLUZn>

28. المصدر السابق

العسكرية والمفوضية الأفغانية، وعملت على توزيع الأسلحة والنفود والعتاد القادم من الدول المانحة، لكنه أيضًا كان يصب في مصلحتها الخاصة.<sup>29</sup>

في موازاة ذلك، كانت الولايات المتحدة الأمريكية حاضرة أيضًا بقوة في المشهد الأفغاني، إذ تلقى المجاهدون الأفغان دعمًا عسكريًا كبيرًا من الأمريكيين عن طريق وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية التي عملت على تسليح المقاتلين في أفغانستان وتمويلهم بشكل سري، وخلال فترة الثمانينيات، استقبل الرئيس الأمريكي رونالد ريغن عددًا من قيادات الحركات الإسلامية الأفغانية في البيت الأبيض، وحيًا قتالهم ضد الاتحاد السوفيتي، واصفًا إياهم بـ "المقاتلين من أجل الحرية"<sup>30</sup>.

## خروج السوفييت من أفغانستان

خرج السوفييت من أفغانستان عام 1989، بعد تسع سنوات من الحرب مع الأفغان، لكنهم تركوا حكومة شيوعية قوية يقودها سياسي محنك هو محمد نجيب الله (1947-1996)، فبقي الطريق إلى كابول غير ممهد أمام المجاهدين، وعمل نجيب على استرضاء المجاهدين من خلال إقراره مجموعة من القوانين المهمة التي تتقاطع مع الرؤى الأيديولوجية للإسلاميين، بإعلانه أفغانستان دولة مسلمة تخضع لقوانين الإسلام، وأمر بإيقاف مظاهر التغريب.<sup>31</sup>

واستفاد نجيب الله من الخلافات الإثنية والمذهبية بين قادة المجاهدين عقب الانسحاب السوفيتي، وحاول استمالة بعضهم، عارضًا عليهم بعض الإغراءات والتسويات لتهدئة الأمور، واغتيال بعض قادة المجاهدين أيضًا، وظل على هذا المنحى يلعب ويناور بسياسات الترغيب والترهيب مع الإسلاميين حتى عام 1992، إلى أن أرسلت الأمم المتحدة مبعوثًا خاصًا بعد تفاقم الأزمة بينه وبين المجاهدين الأفغان، يدعى بينون سيفان (Benon Sevan)؛ لتهدئة الأوضاع، وإيجاد صيغة لتقاسم السلطة بين الحكومة والمجاهدين، لكن تمرد الجنرال عبدالؤمن واستيلائه على "سامنغان"، وقطعه الإمدادات عن كابول، أدى إلى قلب المشهد رأسًا على عقب، واستغل أحمد شاه مسعود السياق، فاتجه نحو دعم الجنرال عبدالؤمن في تمرد، والجنرال عبد الرشيد دوستم، وهو ما مهد له وحده الطريق إلى كابول.<sup>32</sup>

هنا برزت إشكالية كبرى عصفت بالمشهد الأفغاني برتمته، كانت نتاجًا طبيعيًا لحجم التدخلات الخارجية على مدار العقود السابقة، خاصة فترة الجهاد الأفغاني، وظهرت أيضًا تداعيات تعدد القيادات والرموز الإسلامية داخل حركات المقاومة الأفغانية الجهادية، إذ إن "مسعود" لم يكن صاحب الاتصالات الوحيد داخل النظام، فـ "قلب الدين حكمتيار" كانت له حساباته أيضًا، والولايات المتحدة الأمريكية وباكستان لهما حساباتهما الخاصة.

وعلى هامش هذه الخلافات، ووسط أجواء جاذبة لوصول المجاهدين إلى السلطة، اتفق المجاهدون على صيغة لدخول كابول، فيكون صيغة الله مجدي (1926-2019) رئيسًا لمدة شهرين، يليه في الرئاسة "برهان الدين رباني" أربعة أشهر، وتذهب رئاسة الوزراء إلى "قلب الدين حكمتيار"، وتسنن وزارة الدفاع إلى أحمد شاه مسعود.<sup>33</sup>

وبالفعل دخل المجاهدون كابول، واحتل المسلحون العاصمة الأفغانية، لكن المجاهدين وقعوا في فخاخ السلطة وشراكها، فلم يرتض برهان الدين أن يترك السلطة، وتمسك بها رغم انقضاء الفترة المتفق عليها، وتضخمت الخلافات بين أطراف الحكومة، ورفض قلب الدين حكمتيار دخول كابول وقبول صيغة التراضي، كما تضخمت خلافاته مع أحمد شاه مسعود بشأن تسليح الفصائل، وسيطرة وزارة الدفاع على كابول.<sup>34</sup>

29. موسوعة مقاتل من الصحراء، الأزمة الأفغانية (تاريخيًا، وسياسيًا، وعسكريًا)، المبحث الخامس- المقاومة الأفغانية.

<https://2u.pw/BLUZn>

30. المصدر السابق

31. موسوعة مقاتل من الصحراء، الأزمة الأفغانية (تاريخيًا، وسياسيًا، وعسكريًا)، المبحث الخامس- المقاومة الأفغانية.

<https://2u.pw/BLUZn>

32. Kakar, M. Hassan Afghanistan: The Soviet Invasion and the Afghan Response, 1979-1982. Berkeley: Univer-  
sity of California Press, c1995 1995. <https://2u.pw/5n5mI>

33. منذ 3 عقود... هكذا غادر السوفييت أفغانستان، العربية. نت، طه عبدالناصر رمضان، نشر في: 14 أغسطس، 2021

<https://2u.pw/NT4qI>

34. الحرب الأهلية الأفغانية (1989-1992) <https://2u.pw/yM7T3>

وهنا أخذ المشهد الأفغاني منحىً جديداً اتسعت خلاله الهوة والفجوة بين الفصائل الجهادية، وتناحروا فيما بينهم وقتلوا وقتلوا، وبدأ قلب الدين حكمتيار بمعاونة عبد الرشيد دوستم في قصف كابول؛ ما أدى إلى تدميرها، وردت عليهما قوات أحمد شاه مسعود، فانفجرت الحرب الأهلية الأفغانية، مخلفة الدمار الكبير الذي لا تزال أفغانستان تعانيه إلى اليوم، والتمزق العرقي الشديد غير القابل للرجوع.<sup>35</sup>

## حركة طالبان من الهامش إلى المتن

في هذا الوقت، كان هناك في الجوار الباكستاني- وتحديداً طلبة العلوم الدينية من المهاجرين الأفغان- من يرقب الأحداث في الساحة الأفغانية بدقة، ويتتبع تطوراتها وتداعياتها على المشهدين الداخلي والخارجي، فلقد كانت قلوبهم وأفئدتهم في أفغانستان، وأجسادهم في باكستان.

لقد كان الطالبان- أو الطلبة بلغة الباشتون- ناقلين على ما آلت إليه الأوضاع في أفغانستان من تحارب المجاهدين والآباء المؤسسين للحركة الإسلامية الأفغانية فيما بينهم، مع أن عدداً لا بأس به منهم شارك في الجهاد الأفغاني، إلا أنهم نأوا بأنفسهم عن الدخول في معترك هذا الاقتتال والفتنة الداخلية بين أعداء اليوم ورفقاء أمس؛ ومن هنا استشعر الطالبان أنه لا بد أن يكون لهم دور، ألا وهو بناء الدولة الأفغانية الإسلامية، وتطبيق الشريعة الإسلامية، ومع حلول عام 1994 كانت طالبان قد أخذت زمام المبادرة، وشرعت في تكوين فصائل مسلح بدعم من باكستان لأداء دور مهم في تاريخ أفغانستان.<sup>36</sup>

كانت طالبان عازمة على إعادة الأمور إلى نصابها، أي إلى ما قبل الاقتتال الداخلي والتناحر بين رفقاء الجهاد الأفغاني، موظفة كل السياقات السياسية والاجتماعية آنذاك لتحقيق أهدافها، مستمدة قوتها من ضعف خصومها وتشتتهم، ونجحت في وقت قصير لم يتجاوز العامين في تحقيق نصر كبير على كل الأحزاب الإسلامية التي يقاوت بعضها بعضاً.

لم يستطع بعض قادة الأحزاب الصمود أمام الزحف العسكري لحركة طالبان وضرباتهم المتوالية، فسارعوا إلى تسليم مناطق سيطرتهم، مثل يونس خالص وحقاني، وكذلك معظم قوات سياف، ومع دخول الحركة كابول أذعنت لها غالبية الجغرافيا الأفغانية، وتشتت أمراء الحرب بعد أن أصبحت طالبان القوة الضاربة؛ ما دفع أمراء الحرب نحو الاتجاه شمالاً، وتحالفوا معاً فيما عرف بـ"التحالف الشمالي"، وكانت إحدى أهم النتائج التي تترتبت على نجاح طالبان من الناحية المجتمعية هي انتشار المدارس الديوبندية وأفكارها التعليمية في مناطق متفرقة ومختلفة في الداخل الأفغاني- سنتناولها بالتفصيل لاحقاً- لا سيما في مناطق قبائل البشتون.<sup>37</sup>

ومن نافلة القول الإشارة إلى مجموعة من العوامل التي كان لها عظيم الأثر في النجاح العسكري والسياسي لحركة طالبان، تقف على رأسها الأخطاء التي وقع فيها قادة المجاهدين، وأبرزها عدم قدرتهم على تشكيل حكومة وطنية تعمل على تحقيق وجود متوازن للأقليات العرقية في السلطة، وهو ما ظهر جلياً عقب الصراعات العسكرية التي بدأت بعد استيلاء المجاهدين على كابول عام 1992، فضلاً عن تأثير الدعم الباكستاني للحركة، بالتوازي مع الدعم المالي من جهات عدة للتصدي للتأثير الإيراني.<sup>38</sup>

## ماهية الحركة

في العقد الأخير من القرن العشرين، وتحديداً في عام 1994، تشكلت مجموعة من معلمي المدارس الدينية في جنوب غرب أفغانستان، وبدأوا أنشطتهم السياسية، وكانوا قد تلقوا تعليماً إسلامياً أصولياً في المدارس الدينية في باكستان، وتحديداً المدارس الديوبندية، وهي مدارس منتشرة بكثافة في أفغانستان وباكستان، وهاتان الدولتان من الدول القليلة في العالم الإسلامي التي شهدت نمواً وانتشاراً لهذا النوع من المدارس في المناطق الريفية في القرن

35. المصدر السابق

36. المصدر السابق

37. الحرب الأهلية الأفغانية (1989-1992) <https://2u.pw/yM7T3>

38. المصدر السابق

العشرين، في الوقت الذي كان غالب العالم الإسلامي يشهد انحساراً كبيراً للمدارس الدينية واستبدال المدارس العصرية الحكومية بها.<sup>39</sup>

استطاعت تجميع نحو ثلاثة آلاف مقاتل خلال 4 سنوات، وبدأت من قندهار بزعماء الملا محمد عمر (1960-2013)، وأظهر أعضاء الحركة كراهيتهم للأحزاب الأفغانية الموجودة على الساحة لعدم مصداقيتها.<sup>40</sup>

عملت هذه المجموعة التي أطلق عليها فيما بعد "الطالبان" (منظمة إرهابية محظورة في روسيا) على توحيد البلاد وتطهيرها من الحكام المحليين المستبدين، وتفكيك الجماعات العشوائية، وإرساء النظام والاستقرار في أفغانستان، وبعد انتصارها كان هدفها الأول إقامة نظام حكم قائم على الشريعة الإسلامية، وفق مخيّلهم الجهادي.<sup>41</sup>

في فبراير (شباط) 1995، استولت طالبان على كابول، إلا أنهم هُزمت في منتصف مارس (آذار) من العام نفسه، وفي عام 1996 استطاعت الاستيلاء على مدينة كابول مرة أخرى، ثم نجحت في ضم معظم الأقاليم الأفغانية، وشكلت حكومة جديدة، وعلى الرغم من الانتصارات العسكرية التي حققتها الحركة فإنها بدأت تواجه انقسامات وصراعات داخلية بعد الغزو الأمريكي لأفغانستان (2001)، لكنها استطاعت إعادة تحالفاتها السياسية وبناء قدراتها التنظيمية والقتالية، فقد تحالفت مع قلب الدين حكمتيار، زعيم الحزب الإسلامي، في نوفمبر (تشرين الثاني) 2003، بعد أن كان أحد الأعداء التقليديين لها؛ ما يعني مزيداً من الدعم المالي والعسكري للحركة.<sup>42</sup>



أحد قادة طالبان يتحدث إلى جموع من الأفغان المتجمعين بعد استيلاء الحركة على السلطة سنة 1996، تصوير: روبرت نيكلسبرغ، كابول، أكتوبر/تشرين الأول 1996.

في عام 1996، وبعد استيلاء حركة طالبان على أكثر من 90% من أراضي أفغانستان، أنشئت إمارة إسلامية في كابول، يحكمها "الملا عمر" أمير الإمارة، وسنّت وطبقت قوانين صارمة، ومجموعة من السلوكيات، مثل منع النساء من الظهور في الشوارع دون مرافقة أزواجهن، وتوقيف من يحلق لحيته، فضلاً عن إغلاق المسارح ودور السينما.<sup>43</sup>

39. موقع إضاءات: «الديوبندية» والأصول الفكرية للإسلام السياسي في آسيا، إسلام المنسي، أغسطس، 2018. <https://2u.pw/Kkngt>

40. المصدر السابق

41. Terrorist movements in Afghanistan, attitudes towards the status of radical fundamentalist forces in Islamic post awakenings, Published: December 31, 2018, Younes Forouzan, Abdolreza Alishahi, <https://2u.pw/OzaoB>

42. المصدر السابق

43. موسوعة مقاتل من الصحراء، الأزمة الأفغانية (تاريخياً، سياسياً، وعسكرياً)، المبحث الخامس - المقاومة الأفغانية.

<https://2u.pw/BLUzn>

# السمات الأيديولوجية والمرجععية الفكرية لحركة طالبان

هناك ثلاثة مكونات رئيسية شكلت الرؤية الأيديولوجية العقدية والسياسية لحركة طالبان الأفغانية، وهي ركائز أساسية تنطلق منها الحركة في منظورها للعالم من حولها على كل الأصعدة الدينية والسياسية والمجتمعية، وتكمن أهميتها في الحاجة إلى فهم قدرتها على الصمود والبقاء خلال السنوات السابقة، ثم الصعود على النجو القائم في اللحظة الراهنة، وفي الوقت نفسه يمكن من خلال الوقوف عليها استشرف مآلات الحركة مستقبلاً، ونوجزها على النحو التالي:

## أولاً: تأثيرات المدرسة الديوبندية

مَثَل سقوط الهند في قبضة الاحتلال البريطاني، وانتهاء حكم القرون الستة للدول المسلمة في جنوب آسيا<sup>44</sup>، زلزلة كبرى في الأوساط الدينية للمجتمعات الإسلامية هنالك، ولم تفلح مقاومتهم للمحتل البريطاني في إعادة الأمور إلى نصابها بعد تباين موازين القوى المادية والحضارية بين الجانبين، إذ كان الغرب- خاصة بريطانيا العظمى في هذا الوقت- يقف على أعتاب حقبة جديدة تمتلك خلالها زمام القيادة والمبادرة كقوى عظمى تحيط بجغرافيات العالم من كل اتجاه، عسكرياً وسياسياً وفكرياً، في مقابل تراجع الطرف الذي بات الأكثر ضعفاً ممثلاً في الممالك والإمبراطوريات الإسلامية على امتداد جغرافياتها وتنوعها.

ومع فشل الثورة المسلحة في الهند التي قادها وشارك فيها كثير من علماء الدين المسلمين عام 1857، ومنهم الشيخ محمد قاسم النانوتوي (1833-1880)، مؤسس الحركة الديوبندية، استشعر العلماء كارثية الموقف مع انتشار الثقافة الغربية والمهام التبشيرية، وفكروا في حفظ الهوية الإسلامية، حسب ما تورده أدبياتهم<sup>45</sup>.

ويبدو أن الشعور العام في ذلك الوقت كان يتمثل في أن المقاومة العسكرية، مع اختلاف موازين القوى كما أسلفنا، ليست في صالحهم، وأن عليهم الانتقال إلى مرحلة مغايرة تتمثل في المواجهة الفكرية، وإعداد جيل قادر بعد تأهيله الديني والفكري على مواجهة المحتل، وآلياته التبشيرية الفكرية والغزبية؛ ومن هنا كانت الحاجة إلى السير في اتجاهين رئيسيين، أولهما مقاطعة أدوات الاستعمار البريطاني وآلياته، والعمل على تأسيس مدارس تكوينية بمنهجية قادرة على الوقوف؛ ومن ثم الصمود أمام تحركات المحتل الأجنبي، وفي الوقت نفسه تحافظ على عقيدة المسلمين، وتبقى شعلة المقاومة والجهاد قائمة دون انطفاء، فكانت المدارس الدينية الديوبندية عماد هذه المرحلة، والأساس الذي انطلقت منه لتخريج دفعات مؤهلة لحمل هذا الفهم الأيديولوجي المركب والمعقد في آن معاً.

تأسست دار العلوم ديوبند، المدرسة الديوبندية في طورها التكويني الأول عام 1866، قبل أن تتفرع منها مدارس كثيرة في باكستان وأفغانستان، وغيرهما من البلدان الإسلامية، وجنوب إفريقيا، وكان شيخ الهند محمود حسن الديوبندي (1851-1920)، أبرز رموزها الإسلامية قاطبة، وهو أول طالب في هذه المدرسة الدينية، وتلميذ الشيخ المؤسس محمد قاسم النانوتوي، الذي أسس بعد الانتهاء من سنوات دراسته منظمة إسلامية أطلق عليها "ثمرات التربية" قادت فيما بعد الحراك المسلح ضد البريطانيين، وهو التمثيل الطبيعي للهدف الذي أنشئت من أجله

44. Terrorist movements in Afghanistan, attitudes towards the status of radical fundamentalist forces in Islamic post awakenings, Published: December 31, 2018, Younes Forouzan, Abdolreza Alishahi, <https://2u.pw/OzaoB>

45. موسوعة مقاتل من الصحراء، الأزمة الأفغانية (تاريخياً، وسياسياً، وعسكرياً)، المبحث الخامس- المقاومة الأفغانية. <https://2u.pw/BLUzn>

المدرسة الديوبندية من خلال المزاجية بين العلم والعمل الجهادي.<sup>46</sup>

أحد أهم العوامل التي أسهمت في استمرار هذا النوع من المدارس الدينية الإسلامية وبقائه تمثل في استقلالها المالي، وهو كان مقصداً سعى إليه الشيخ المؤسس منذ اللحظات الأولى للتأسيس، بل شدد عليه بإلحاح في قائمة المبادئ الثمانية للمدرسة الديوبندية في استقلالها عن أي دعم حكومي أو حتى وقفي، وكان له أثر كبير في استنساخ تجربة دار العلوم في أماكن مختلفة، حتى أصبحت المؤسسة الدينية الأكبر في آسيا، والحركة الإصلاحية والجامعة الأهم في العالم الإسلامي خارج الشرق الأوسط، فمن معاقلها في الجنوب الآسيوي: الهند، وباكستان، وبنغلاديش، وأفغانستان، مروراً بجنوب إفريقيا، حيث الوجود الأكبر بعد الجنوب الآسيوي، وصولاً إلى الغرب، وخاصة بريطانيا.<sup>47</sup>

وبجوار هذه المعايير الضابطة التي أرسى دعائمها الشيخ المؤسس، حرصت المدرسة الديوبندية على تعظيم دور العلماء، وتعزيز وجودهم كعناية للمجتمع المسلم، وحراس لقيمهم، والنأي بهم عن السلطة السياسية وإكراهاتها لتتحرر من قيودها التي تحكم على رقابهم، وهذا على المستوى الأيديولوجي، أما من الناحية النظرية فالمواد التي يدرسها طالب هذا النوع من المدارس الإسلامية تتشابه تشابهاً كبيراً مع مناهج الأزهر الشريف قديماً، فهي مؤلفة من المتون والشروح والحواشي الموروثة والمنتشرة في أصول الفقه والتفسير والفقه والحديث واللغة العربية والمنطق والفلسفة وفق الدرس النظامي، واللافت هو الجمع بينها وبين الطرق التربوية الصوفية والعرفانية، فضلاً عن كونها تقوم على النموذج الشبكي لا الهرمي.<sup>48</sup>

ويتطابق نموذج الديوبندية مع الأزهر الشريف من ناحية منهجية الدراسة على وجه الدقة في تدريسها مذهب الإمام أبي حنيفة في الفقه، والمذهب الماتريدي في العقيدة، وهو أمر مهم جداً يسر لها التمدد والانتشار، وعدم المواجهة أو الصدام مع الغالبية العظمى من جمهور المسلمين المنتمين إلى المدرسة السنية التقليدية، وينتمي عدد من علمائها أيضاً إلى عدد من الطرق الصوفية، مثل النقشبندية والقادرية، وفي الوقت نفسه قد تجد من خريجها من ينتمي فكرياً إلى اتجاهات مختلفة، مثل المنهج السلفي الذي عرف طريقه بين أبناء خريجي المدارس الديوبندية.<sup>49</sup>

لذلك لا يمكن فهم حركة طالبان دون معرفة هذا النوع من المدارس، وأثره في البنى الفكرية والفقهية للحركة، التي تجعلها تختلف اختلافاً كبيراً عن نظرائها من الحركات الإسلامية الأخرى، سواء تلك السابقة عليها في النشأة والحضور في الداخل الأفغاني أم في خارجه، خاصة في المشرق العربي والإسلامي، إذ تعد طالبان تجسيدا حقيقياً للتكوين المعرفي والأيديولوجي للمدرسة الديوبندية من حيث الاستقلال الفكري والأيديولوجي، ووجود مؤسسات مالية مستقلة، والروابط المتينة بين أعضاء الحركة، والتراتبية والشبكية، فضلاً عن القدرة على الحشد، والإدارة اللامركزية لشبكاتها التعليمية.<sup>50</sup>

يمكن القول إن وجود التقاليد الإسلامية وأهمية دور علماء الدين في أفغانستان لم يخلقا توجهاً أصولياً سياسياً أو جهادياً؛ وإنما حدث ذلك من خلال تأثيرات المدرسة الديوبندية في المشهد الديني المجتمعي، الذي جسده حركة طالبان بتصوراتها الفكرية وآلياتها الإجرائية<sup>51</sup>؛ وهنا تتجلى تأثيرات هذا النمط من التعليم الديني في إنتاج هذا النوع من الحركات الإسلامية الأصولية السنية المتشددة.

46. Terrorist movements in Afghanistan, attitudes towards the status of radical fundamentalist forces in Islamic post awakenings, Published: December 31, 2018, Younes Forouzan, Abdolreza Alishahi, <https://2u.pw/OzaoB>

47. تجربة طالبان.. قراءة خلدونية سوسيولوجية في جذور الحركة وظهورها، مركز المجدد للبحوث والدراسات، 31 مايو، 2021، <https://2u.pw/5iAx5>

48. المصدر السابق

49. تجربة طالبان.. قراءة خلدونية سوسيولوجية في جذور الحركة وظهورها، مركز المجدد للبحوث والدراسات، 31 مايو، 2021، <https://2u.pw/5iAx5>

50. المصدر السابق

51. تجربة طالبان.. قراءة خلدونية سوسيولوجية في جذور الحركة وظهورها، مركز المجدد للبحوث والدراسات، 31 مايو، 2021، <https://2u.pw/5iAx5>

## ثانياً: تأثيرات الإسلام الأصولي وتياراته الفكرية

### الدولة والإصلاح والنظريات السياسية

تستمد حركة طالبان تصوراتها الإسلامية الأصولية فيما يتعلق بالسلطة السياسية ونظم الحكم والإدارة من آراء ثلاثة مفكرين رئيسيين، ومنهم استقت الحركة تصوراتها نحو الدولة والإمارة، والسلطة السياسية والشرعية<sup>52</sup>، أولهم أبو الحسن علي الندوي (1914-1999) أحد أهم أعلام الديوبندية، وثانيهم أبو الأعلى المودودي (1903-1979)، وثالثهم سيد قطب، وجميعهم ظهرت أفكارهم وتمددت في منتصف القرن العشرين، وتتركز مجمل أعمالهم الإسلامية من ناحية التنظير الفكري حول المجتمع والدولة، وتنطلق في مجملها من رفض المفاهيم والمترادفات العلمانية، مثل القومية، والليبرالية، والديمقراطية، والرأسمالية، والاشتراكية، والشيوعية، وغيرها، وتثوير الأمة الإسلامية وقيادتها من خلال رجال صادقين مؤمنين برسالتهم القائمة على إخضاع السلطة السياسية لسيادة الله، وتحقيق شريعته في الأرض بمقتضى الآية الكريمة "إن الحكم إلا لله"<sup>53</sup>.

ورغم تباين الرؤى الفكرية والأيدولوجية بين الندوي من جهة وكل من المودودي وقطب من جهة أخرى، فإن تأثيراتهم الفكرية المتناقضة تركت آثارها في حركة طالبان، ففي الوقت الذي ينزع فيه الندوي نحو نقد المودودي وقطب من خلال كتابه "التفسير السياسي للإسلام"، حينما عارض طرحهما فكرة "مركزية الحاكمية"، واعتبارها "الفكرة المركزية لجوهر الدين"، وأن الأنبياء والمرسلين كان هدفهم وغايتهم هي "الحكومة الإلهية"؛ ولذا سعوا إلى إحداث الانقلاب السياسي من أجل تأسيس "المدنية والحضارة على أسس من الخير والفلاح"، يؤكد الندوي أن دعوة الأنبياء والمرسلين كانت تقوم بشكل أساسي على توحيد الله في العبادة، ونبذ عبادة الأنداد والشركاء.<sup>54</sup>

كانت فكرة الندوي في تغيير الوضع السياسي تتركز على تغيير ما في الأنفس قبل الوصول إلى الحكم، أو المناداة بتغيير أوضاعه، تغيير النفس وإصلاحها إيماناً وأخلاقياً وروحياً، وانتهاج نهج الأنبياء وأخلاقهم، ومحاكاة نفسيات الصحابة العادلة السوية زمن الخلافة الراشدة، أما نظرتهم تجاه السياسيين والحكام فهو يرى إيصال الإيمان والدعوة إليهم، وبهذا يتجنب نفور السياسيين من الدين، ويتجنب الصدام والصراع.<sup>55</sup>

تمثل أفكار الندوي المرجعية الأخلاقية لحركة طالبان، خاصة أنه يُعدّ من أعلام الديوبندية المحدثين ورموزها المهمين، الذين إن كانوا يتعارضون في ظاهريتهم مع الإسلام الحركي وقادته الفكريين أمثال المودودي وقطب، إلا أنهم يتقاطعون في نهاية المطاف بعضهم مع بعض، ويتلاقحون ليشكلوا العقل الأيدولوجي والفكري لطالبان.

يقدم المودودي رؤيته نحو الدولة الإسلامية وهدفها المرجو منها، المتمثل في ترسيخ الفكر القائم على أصول الإسلام (القرآن والسنة، وفي كتابات سيد قطب يسميها "النظام الإسلامي"، ويرى سيد قطب أن الدين في الفهم الإسلامي مرادف لمصطلح نظام، كما هو موجود في الاستخدام الحديث، وهو ما يتفق مع منظور طالبان لشكل الدولة بوصفها أداة للإصلاح.<sup>56</sup>

يرى المودودي أن الدولة يجب أن يديرها فقط أولئك الذين يؤمنون بأيدولوجية الإسلام - حركة طالبان نموذجاً- التي تقوم عليها، وفي القانون الإلهي الذي تم تكليفه بإدارته أن مجرد الإيمان بأيدولوجية الإسلام لا يكفي لمسلم لإدارة الدولة، وهو ما يجعل المودودي يذهب إلى أن مديري الدولة الإسلامية يجب أن يكونوا أولئك الذين كرسوا حياتهم كلها لمراعاة هذا القانون وتنفيذه، والذين لا يوافقون فقط على برنامجه الإصلاحية ويؤمنون به تماماً؛ ولكنهم يفهمون تماماً روحه، وهم على دراية بتفاصيلها. وينكر كذلك أن من يقبل هذا البرنامج، بغض النظر عن العرق، أو الأمة، أو الدولة التي ينتمي إليها، يمكنه الانضمام إلى المجتمع الذي يدير الدولة الإسلامية، لكن أولئك الذين لا يقبلون ذلك لا يحق لهم أن تكون لهم أي يد في تشكيل السياسة الأساسية للدولة.<sup>57</sup>

وفي الوقت نفسه يسمي المودودي الدولة الإسلامية بأنها ديمقراطية، فحسب رأيه "يدير جميع السكان المسلمين الدولة وفقاً لكتاب الله وممارسة نبيه"، ومن وجهة نظره، فإن الديمقراطية الدينية هي "حكومة ديمقراطية إلهية؛ لأن

52. المصدر السابق

53. موقع إضاءات: «الديوبندية» والأصول الفكرية للإسلام السياسي في آسيا، إسلام المنسي، أغسطس، 2018. <https://2u.pw/Kkngt>

54. المصدر السابق

55. Terrorist movements in Afghanistan, attitudes towards the status of radical fundamentalist forces in Islamic post awakenings, Published: December 31, 2018, Younes Forouzan, Abdolreza Alishahi, <https://2u.pw/OzaoB>

56. طالبان.. الخلفية الشرعية، والفرق مع القاعدة وداعش، وإمكان التطور، محمد خير موسى، 17/8/2021. <https://2u.pw/bloPI>

57. Kakar, M. Hassan Afghanistan: The Soviet Invasion and the Afghan Response, 1979-1982. Berkeley: University of California Press, c1995 1995. <https://2u.pw/5n5mj>

المسلمين في ظلها منحوا سيادة شعبية محدودة في ظل سيادة الله".<sup>58</sup>

يُعدّ الإسلاميون أكثر جدية من المفكرين الدينيين الإصلاحيين التقليديين في مسألة سلطة الدولة، وهي إحدى نقاط خروجهم عن المفكرين الإصلاحيين في الماضي، ومنذ أن أصبحت الدولة في اللحظة الراهنة أكثر أهمية، أصبح الاستيلاء عليها من خلال آلية الجهاد هدفاً لتحقيق هذه الغاية، وبات يُنظر إلى الجهاد على أنه ليس موجهاً إلى الكفار فحسب؛ وإنما إلى الحكام المستبدين أيضاً، ووفق منظور قطب فإن الاستيلاء على السلطة السياسية هو إتمام الجهاد وسبب وجوده<sup>59</sup>، وذلك من خلال نهج ثوري هدفه المباشر هو الاستيلاء على الدولة.<sup>60</sup> وهو ما سارت عليه حركة طالبان بشكل دقيق، رافضة الفكرة الإسلامية الإصلاحية التقليدية، سواء الحركية منها أو السلفية المتوائمة مع السلطة.

## ثالثاً: البعد القومي والعامل القبلي وتأثيراته في الحركة

منذ قيام الدولة الأفغانية عام 1747، ويعد البشتون الحكام التقليديين في البلاد، وكان أبرزهم في العصر الحديث الملك ظاهر شاه (1933-1973)، والرئيس نجيب الله (1987-1992) الذي أعدمته طالبان في سبتمبر (أيلول) 1996، إلى أن جاءت طالبان من ذات العمق المناطقي القبلي البشتوني الذي يمثل غالبية داخل الغالبية السنية (التي تضم الطاجيك والأوزبك وغيرهما)، وانعكس ذلك على مسار القيادة داخل الحركة نفسها أيضاً، فالثلاثة الذين تعاقبوا على قيادة طالبان: المؤسس الملا عمر، والملا أختر منصور (1968-2016)، والمولوي هبة الله (الأمير الحالي منذ 2016)، والقادة البارزون في الحركة، جميعهم من البشتون؛ لذلك فالحركة وإن لم تقدم نفسها على أنها تمثل الأغلبية البشتونية فإنها في واقع الأمر وحقيقته هي كذلك، وانعكس ذلك خلال فترة حكمهم الأولى في تعيين غالبية المسؤولين في الإمارة من القومية البشتونية.<sup>61</sup>

لذلك، فالبعد القومي واضح الأثر في حركة طالبان، وطاغ بشدة في توجهاتها السياسية والمجتمعية الدينية، وأكبر تمظهر دلالي على ذلك هو تقديمها نموذج الإمارة الأفغانية المستقلة بحدودها الجيوبوليتيكية دون أن تكون جزءاً من خلافة إسلامية أوسع.<sup>62</sup> وهو ملمح مهم جداً يأتي في سياق تأثيرات البعد القومي في الحركة، وتقدمه على المكون الديني الإسلامي وإن كانت تمت أسلمته على هذا النحو، إن جاز الوصف.

هناك بعد آخر يمكن تلمسه في التقاطع الكبير بين العاملين القبلي والديني في تشكيل الهوية الطالباوية، وهو ما يطلق عليه "طريق البشتون"، أو "قانون الحياة" الذي يمارسه "الباشتونوالي" على نطاق عريض، المتمثل في أسلوب الحياة التقليدي لشعب البشتون، وهو خليط من التعاليم الإسلامية والأعراف والتقاليد المتوارثة عن البشتون التي تعود إلى فترات زمنية قديمة قبل وصول الإسلام إلى أفغانستان توافقت معها ولم تصطدم بها، وهو مجموعة من الأعراف والتقاليد والثقافات المحلية التقليدية المتوارثة من قبائل البشتون العرقية في أفغانستان وباكستان.<sup>63</sup>

ومن بين أهم الخصال البشتونية التي توافقت مع الرؤى الإسلامية الأصولية للحركة مناصرة الضعفاء والمظلومين، وإعطاء الغريب أو من يريد الاحتماء بهم حق الحماية واللجوء، ولو ضد أعدائه، أيًا كان ثمن ذلك، وحتى أولئك الذين يهربون من القانون ويلجؤون إليهم يمنحون الأمن إلى أن يتم البت في مصائرهم وأوضاعهم، إضافة إلى حسن الضيافة، وإبداء كرم الضيافة، والاحترام العميق لجميع الزوار، بغض النظر عن العرق، أو الدين، أو الانتماء الوطني، أو الوضع الاقتصادي.<sup>64</sup>

ومن الأمثلة البارزة على ذلك ضابط البحرية ماركوس لوترييل (Marcus Luttrell) الذي كان ضمن فريق (SEAL)، في أثناء قيامه وفريقه بمهام عسكرية في أفغانستان عام 2005، إلا أن حركة طالبان حاصرتهم بعد أن أوقفعتهم في كمين عسكري وقتلوا جميعاً باستثناء ماركوس الذي لاذ بالفرار واختبأ لدى عائلة أفغانية وفرت له الحماية والمأوى من إحدى

58. موقع أصوات أون لاين، الكتب المؤسسة للعنف.. نقد مدرسة التفسير السياسي للدين (4-5)، كمال حبيب، 7 فبراير، 2021.

<https://2u.pw/F108N>

59. فكرة التغيير السياسي عند أبي الحسن الندوي، الطالب نور الدين ضيافي، جامعة باتنة، مجلة آفاق العلوم، العدد السابع، جامعة الجلفة، مارس، 2017.

60. Kakar, M. Hassan Afghanistan: The Soviet Invasion and the Afghan Response, 1979-1982. Berkeley: University of California Press, c1995 1995. <https://2u.pw/5n5mJ>

61. Kakar, M. Hassan Afghanistan: The Soviet Invasion and the Afghan Response, 1979-1982. Berkeley: University of California Press, c1995 1995. <https://2u.pw/5n5mJ>

62. Kakar, M. Hassan Afghanistan: The Soviet Invasion and the Afghan Response, 1979-1982. Berkeley: University of California Press, c1995 1995. <https://2u.pw/5n5mJ>

63. المصدر السابق

64. Kakar, M. Hassan Afghanistan: The Soviet Invasion and the Afghan Response, 1979-1982. Berkeley: University of California Press, c1995 1995. <https://2u.pw/5n5mJ>

قبائل البشتون، وقام زعيم القبيلة بحمايته حتى أرسل الخبر إلى القوات الأمريكية القريبة التي تسلمته بعد ذلك.<sup>65</sup>

ولعل من أهم الخصال البشتونية وأبرزها الحفاظ على الأرض، والتضحية بالنفس والمال والدماء من أجل الحفاظ البشتوني على أرضهم وممتلكاتهم، وفي سبيل ذلك يتحلى بالشجاعة والإقدام والجرأة في الوقوف أمام كل من يقترب منها، غزياً، أو مستبداً، أو محتلاً في معركة الأرض والشرف.<sup>66</sup> ولا يمكن أبداً أن يصبح البشتوني خائناً؛ لأن هذا سيكون عاراً على العائلة والقبيلة.<sup>67</sup> ومن تأثيرات ذلك مجتمعياً أن معدل الجريمة في مناطق البشتون في باكستان أقل منه في المناطق غير البشتونية.<sup>68</sup>

وفي محاولة فهم موقف الحركة الطالبانية من المرأة، يجب النظر إليها ضمن الإطار القبلي البشتوني ومركزيتها داخله، يجب على البشتوني الدفاع عن شرف المرأة بأي ثمن، وقتل النساء ممنوع في ثقافة البشتون<sup>69</sup>، وهو ما يجعلنا نتفهم الممارسات الإجرائية للحركة تجاه المرأة من خلال الفصل الصارم بين الجنسين، ويرتبط شرف الرجل الأفغاني (أو "نانخ") ارتباطاً وثيقاً بكيفية معاملة نساء عائلته. وتنتشر هذه الرؤى الأيديولوجية للحركة بشكل أكثر شيوعاً في المناطق الريفية المحافظة في أفغانستان، بما في ذلك مناطق البشتون.<sup>70</sup>

## حركة طالبان وملامح مشروعها السياسي "الوطني" والديني "الإمارة"

يمكن تلمس مفهوم خاص للوطنية لدى حركة طالبان من خلال ما استعرضناه سابقاً من الأسس الأيديولوجية والفكرية التي شكلت هوية طالبان العقديّة والسياسية، ويندرج ذلك تحت أربعة معانٍ أساسية: (الصبغة الأفغانية الخالصة، وحدة الأرض الأفغانية واستقلالها، تقدير الأعراف الأفغانية، نبذ الصراعات الطائفية)، وما يدل على صدق هذا التوجه ما ألمح إليه الملا محمد عمر في إحدى رسائله المهمة عام 2012، إلى أن الهدف الذي تسعى إليه الحركة هو أن يكون المصير السياسي للبلاد "ذا صبغة أفغانية إسلامية خالصة"، وهو ما عبرت عنه الحركة باقتصار الانتماء إليها والانخراط في صفوفها على المقاتلين الأفغان وحسب، حيث لا مكان للمقاتلين الأجانب في صفوفها.<sup>71</sup>

وينسب أيضاً إلى الملا عمر في هذا الصدد قوله: "إن استقلال أفغانستان وإقامة النظام الشرعي فيها- (المراد به تطبيق الشريعة الإسلامية، خاصة الحدود، من قتل يد السارق، ورجم الزاني، وما شابه) - هما من القيم التي لن تساوم عليها الإمارة الإسلامية - وهو التشكل الذي يقابل الدولة المعاصرة في القاموس الطالباني. ونظراً إلى أن حركة طالبان تولدت من سياقات الفتنة والمعارك التي دارت رحاها بين المجاهدين الأفغان عقب الانسحاب السوفيتي من أفغانستان، نجد حرص قادة الحركة، وعلى رأسهم الملا الراحل محمد عمر، على ألا تنجرف الحركة نحو الانقسام والتشردم.

## الإمارة الإسلامية

تقابل الإمارة الإسلامية لدى حركة طالبان شكل الدولة الوطنية المعاصرة بحدودها الجغرافية، لكنها تختلف في الشكل الهوياتي، والمضمون الأيديولوجي، والتراتبية الإدارية المنحدرة من الدولاب التراثي القديم، ويقدمها مؤسسوها على أنها تقوم بالأساس على النص القرآني "إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ".<sup>72</sup>

سماتها الرئيسية كما وصفتها وممارستها حركة طالبان هي: (تتجلى السيادة من خلال تطبيق الشريعة) حيث يتم اختيار القائد من جانب مجلس شوري إسلامي مختار، وتخضع جميع فروع الحكومة لسلطة الأمير، أما (الشريعة يفسرها الأمير/ القيادة، وعلماء مختارون تحدد/ تقيّد الحقوق الأساسية).<sup>73</sup>

دستور هذه الإمارة- وفقاً لمشروعها الذي قدمته في إمارتها الأولى عام 1998، يمنح القضاء (افتراضياً) الاستقلال، ورأس

65. المصدر السابق

66. ملامح المشروع السياسي لطالبان، كرم الحفيان، المركز المصري للدراسات، يوليو، 2019. <https://2u.pw/ijidi>

67. Afghanistan's Future Emirate? The Taliban and the Struggle for Afghanistan NOVEMBER/DECEMBER 2020, VOLUME 13, ISSUE 11, SETH G. JONES, <https://2u.pw/OAXFG>

68. المصدر السابق

69. Afghanistan's Future Emirate? The Taliban and the Struggle for Afghanistan NOVEMBER/DECEMBER 2020, VOLUME 13, ISSUE 11, SETH G. JONES, <https://2u.pw/OAXFG>

70. المصدر السابق

71. المصدر السابق

72. Afghanistan's Future Emirate? The Taliban and the Struggle for Afghanistan NOVEMBER/DECEMBER 2020, VOLUME 13, ISSUE 11, SETH G. JONES, <https://2u.pw/OAXFG>

73. المصدر السابق

السلطة القضائية يرشحه رئيس الدولة / الأمير، ويحتاج هذا الشخص إلى موافقة الهيئة التشريعية أيضًا. أما منصب الأمير فهو- وفق الدستور- يمثل سلطة تنفيذية وتشريعية وقضائية في الوقت نفسه.<sup>74</sup>

يؤدي العلماء دوراً مهماً في مراقبة توافق المجتمع مع رؤيتهم لتعاليم الإسلام، وفي تفسير العقيدة الدينية تفسيراً محافظاً، ويصدرون الفتاوى في جميع جوانب الحياة اليومية، ومعتقدهم الفقهي مستمد المذهب الحنفي، وتعمل تلك الحكومة الإسلامية وفق تصورهم، على مراقبة ذلك، وتعزيزه ودعمه.<sup>75</sup>

## الهيكل التنظيمي للإمارة

يوجد على رأس الهيكل التنظيمي لطالبان مجلس الشورى، أو مجلس القيادة، وكان حاضراً في الإمارة الأولى تحت اسم "مجلس شورى كويتا"، وظل بعد الغزو الأمريكي والإطاحة بحكم طالبان حاضراً حتى اللحظة.<sup>76</sup>

ويُعد مجلس شورى كويتا، التابع لحركة طالبان، القيادة المركزية للحركة، وسُمي بهذا الاسم تيمناً بمدينة باكستانية غالبية سكانها من البشتون، ما يعكس مدى الترابط الفكري والقبلي القائم بين طالبان، والمجتمع البشتوني في باكستان. ويناط بهذا المجلس إدارة الشؤون السياسية والعسكرية للإمارة، وهو شكل الدولة في المخيال الطالباني، وكان يقوده إلى وقت قريب أمير الحركة الملا مولوي هبة الله أخوند زاده، ويرافقه فيه عدد من القيادات، أمثال الملا محمد يعقوب، وابن الملا الراحل محمد عمر، وسراج الدين حقاني، ويشرف مجلس القيادة على تسع لجان على غرار الوزارات القائمة قبل الإطاحة بطالبان، وتركز اللجان على مجالات تشمل: الاقتصاد، والتعليم، والصحة، والتوعية، أما اللجنة العسكرية فيخول لها تعيين حكام الظل، وقادة ساحة المعارك لكل مقاطعات أفغانستان الأربع والثلاثين، أما اللجنة السياسية فيترأسها الملا عبد الغني بارادار.<sup>77</sup>

ويتألف مجلس الشورى من البشتون من شرق أفغانستان وجنوبها، على الرغم من وجود بعض الشخصيات غير البشتونية، بما في ذلك الأوزبك.<sup>78</sup>

أيضاً يذكر أنه كان لطالبان مجالس شورى إقليمية في "بيشاو" و"ميرانشاه" الباكستانية، ودائماً ما كانت تنشب بين هذه المجالس ومجلس شورى كويتا توترات من حين إلى آخر، بشأن ترتيبات القيادة، والسيطرة، والتمويل، وغيرها من الخلافات والمشكلات الإدارية التقليدية.<sup>79</sup>

أيضاً توجد لدى طالبان عدة مفوضيات يقال إن مقارها كانت في باكستان، وتعد هذه اللجان ضرورية لأداء المهام الرئيسية للعمليات الجهادية، وأمور الحكم والإدارة في الأقاليم التي كانت خاضعة لإدارتها، ويمكن أن تفعل مستقبلاً في ظل السيطرة الكاملة للحركة على أفغانستان في الوقت الراهن، ويناط بها تأمين الأموال من خلال الضرائب والوسائل الأخرى، وتنظيم عمل الشرطة، وإرساء الأمن، وتوفير المزايا الصحية (بما في ذلك رعاية المقاتلين الجرحى)، والإشراف على الإستراتيجية العسكرية (اللجنة العسكرية)، وإدارة المشروعات الإعلامية (هيئة الإعلام)، وجمع الأموال (لجنة الشؤون المالية)، وغيرها.<sup>80</sup>

والجدير بالإشارة في هذا الصدد أن حركة طالبان عملت خلال السنوات الفائتة على إنشاء حكام ظل، وقادة عسكريين على مستوى المقاطعات والأقاليم والمستويات المحلية في أفغانستان.<sup>81</sup>

ومن المتوقع أن يظهر هؤلاء الحكام والقادة تبعاً مع مستجدات اللحظة الراهنة، وهو ما يفسر رغبة طالبان في القيام بمهام الأمن الشرطية والعسكرية دون الاستعانة بالقوات الحكومية السابقة من جهة، وسرعتها في الإجراءات الإدارية منذ إخضاع كابول لسيطرتها ودخولها العاصمة دون قتال، فالحركة كانت على استعداد تام لهذه التطورات الحادثة في المشهد الأفغاني.

74. ملامح المشروع السياسي لطالبان، كرم الحفيان، المركز المصري للدراسات، يوليو، 2019. <https://2u.pw/ijidi>

75. المصدر السابق

76. THE NATURE OF THE Afghan state :Republic vs.Emirates, Afghan peace process Issues paper, November 2020, By Alex Their, Page 6 of 7 | USIP Afghan Peace Process Issues Paper, <https://2u.pw/tligU>

77. المصدر السابق

78. THE NATURE OF THE Afghan state :Republic vs.Emirates, Afghan peace process Issues paper, November 2020, By Alex Their, Page 6 of 7 | USIP Afghan Peace Process Issues Paper, <https://2u.pw/tligU>

79. المصدر السابق

80. Afghanistan's Future Emirate? The Taliban and the Struggle for Afghanistan NOVEMBER/DECEMBER 2020, VOLUME 13, ISSUE 11, SETH G. JONES, <https://2u.pw/OAXFG>

81. المصدر السابق

# طالبان والحركات الإسلامية في الداخل الأفغاني

خلقت الجغرافيا والتكوين العرقي المعقد لأفغانستان، وسلسلة الصراعات على مدار العقود السابقة، فضلاً عن عدم الاستقرار، مساحة لوجود ونفوذ كثير من الجماعات المسلحة، خاصة الجهادية منها، ومن بين هذه الجماعات من نفذ عمليات إرهابية داخل أفغانستان وخارجها، ويعد تنظيم القاعدة وولاية خراسان التنظيميين الجهاديين البارزين في الساحة الأفغانية في اللحظة الراهنة (منظمتان إرهابيتان محظورتان في روسيا).<sup>82</sup>

لا تصنف الولايات المتحدة الأمريكية حركة طالبان منظمة إرهابية، وربما انعكس ذلك انعكاساً كبيراً في اتفاق فبراير (شباط) 2020 بين الجانبين، وتحديدًا في التزام طالبان بمكافحة الجماعات الجهادية مقابل الانسحاب الكامل للقوات العسكرية الأمريكية والدولية، أو عقب الانسحاب، فهما روايتان يلخصهما شكل العلاقة القائمة بين الولايات المتحدة الأمريكية وحركة طالبان في الوقت الراهن، خاصة بعد أن بسطت طالبان سيطرتها على البلاد في أغسطس (آب) 2021، فيما يختلف المراقبون بشأن كيفية تمكين حكم طالبان هذه الجماعات الجهادية- التي سنتناولها لاحقاً- أو تقويضها، أو بشأن سلوك طالبان تجاهها.<sup>83</sup>

## أولاً: طالبان وتنظيم القاعدة

تعود الروابط بين طالبان والقاعدة إلى تسعينيات القرن الماضي، عندما قدمت طالبان في إمارتها الأولى وحكمها لأفغانستان ملائداً آمناً مهمماً للقاعدة، التي خططت لهجمات 11 سبتمبر (أيلول) 2001، وغيرها من الهجمات الإرهابية. وقد تعززت هذه العلاقات من خلال معركتهما المشتركة ضد القوات الدولية في أفغانستان، وكذلك من خلال التزاوج والأواصر الشخصية الأخرى بين أعضاء المجموعتين.<sup>84</sup>

وكان رفض طالبان تسليم العقل المدير لهجمات 11 سبتمبر "أسامة بن لادن"، زعيم تنظيم القاعدة آنذاك، ورفاقه من قادة القاعدة، مبرراً للرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش لشن غزو بقيادة الولايات المتحدة لأفغانستان، وعلى إثره تمت الإطاحة بطالبان في وقت قياسي من السلطة، لكن الأمر استغرق 10 سنوات أخرى من القوات الخاصة الأمريكية لتعقب أسامة بن لادن وقتله.<sup>85</sup>

ورغم تداعيات مقتله على التنظيم الذي بات أضعف تحت قيادة الجهادي المصري أيمن الظواهري عما كان عليه أيام بن لادن، فإنه لا يزال يحتفظ بمكانته وسط الجهادية العالمية.

لم تكن طالبان هي المستهدفة بهذا الغزو بقدر ما كان التخوف الأمريكي في أن تتحول أفغانستان إلى ملاذ للجهاديين من كل حذب وصبوب، وخاصة تنظيم القاعدة الذي وضع الولايات المتحدة الأمريكية على رأس أهدافه الجهادية.<sup>86</sup>

بعقيدة بشتونية ممزوجة برؤية أصولية إسلامية تنطلق من "عدم جواز تسليم المؤمن/ أو من احتفى بها للكافر/

82. موقع ذات مصر الإلكتروني: جائحة كورونا.. فصل جديد في حرب أمريكا وطالبان، 7 مايو 2020، مصطفى زهران.

<https://2u.pw/kuBw1>

83. Afghanistan's Future Emirate? The Taliban and the Struggle for Afghanistan NOVEMBER/DECEMBER 2020, VOLUME 13, ISSUE 11, SETH G. JONES, <https://2u.pw/OAXFG>

84. المصدر السابق

85. المصدر السابق

86. Afghanistan's Future Emirate? The Taliban and the Struggle for Afghanistan NOVEMBER/DECEMBER 2020, VOLUME 13, ISSUE 11, SETH G. JONES, <https://2u.pw/OAXFG>

الغريب"، ودفعت مقابل ذلك ثمنًا باهظًا، بعد أن حافظت طالبان على تحالفها مع القاعدة، وفي الوقت نفسه يعتقد البعض أن طالبان، كانت غير راضية عن ممارسات القاعدة وتحركاتها غير المدروسة، التي لم تكن بالتنسيق معها، ظهر تيار داخل الحركة معارض لهذا التحالف مع القاعدة، وحث بعضهم الملا عمر على اتخاذ موقف ضدها، أو تحجيم أدوارها على الأقل في الداخل الأفغاني، وهو ما سيتحقق بعد ذلك بعقدين من الزمان.<sup>87</sup>

لقد استفادت حركة طالبان من خبرة القاعدة منذ بداية معركتها مع الولايات المتحدة الأمريكية والحكومة التي جاءت موالية لها بعد ذلك، كما فعلت ضد تحالف الشمال خلال التسعينيات، نقلت القاعدة خبراتها كاملة دون نقصان إلى قادة الطالبان، ودرّبتهم على تصنيع المتفجرات غير التقليدية، ونقلت مهاراتها المتخصصة، خاصة التكنولوجية منها، ووضعت علماءها في خدمة الحركة، وهو ملمح مهم لا يمكن إغفاله في قدرة الطالبان على المواجهة والقتال على أكثر من صعيد خلال السنوات السابقة، فضلًا عن وجودهم كخزان بشري مدرب رهن إشارة طالبان.<sup>88</sup>

بيد أن ذلك الاعتماد على القاعدة كان في السنوات الأولى من انتقال الحركة إلى المواجهة العسكرية بعد الإطاحة بها من السلطة بعد الغزو الأمريكي لأفغانستان عام 2002، ومع زيادة خبرات الحركة عسكريًا بدأ الاعتماد على القاعدة يتراجع، وبدأت مشاركتهم عمليات داخل أفغانستان تتضاءل تدريجيًا، خاصة بعد مقتل بن لادن. كان اعتماد طالبان على القاعدة حين كانت وحدها تقاوم عدة أعداء على أكثر من جبهة، وفي حاجة إلى المال الذي كانت القاعدة توفره لها وتمدها به، لكن مع توالي السنوات وتعاقبها لم تعد الحركة بعد أن امتلأت خزائنها من جراء تعدد مصادر تمويلها من الداخل، ممثلة في تجاراتها المتعددة، وتنوع مواردها وسط مناطق سيطرتها، بعد أن جذرت وجودها الجغرافي والمجتمعي، لم تعد معتمدة على حاضنة مجتمعية وقبلية انطلاقًا من قاعدة المقاومة للمحتل الأمريكي، وموظفة المظالم المجتمعية والمعيشية للحكومات الأفغانية المتعاقبة، التي تدين بالولاء للولايات المتحدة الأمريكية، ومن الخارج من جراء الدعم الذي كانت تتلقاه من باكستان وبعض دول الجوار التي تجمعها بها بعض المصالح السياسية، مثل إيران وروسيا<sup>89</sup>، التي ستبرز لاحقًا حينما تعود مرة أخرى إلى مسرح الأحداث بعد انسحاب القوى العسكرية الأمريكية والغربية من أفغانستان.

ومع ظهور تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) في نسخته في المنطقة الآسيوية "ولاية خراسان"، اشتركت كل من القاعدة وطالبان في الكراهية تجاه الدولة الإسلامية وبادلتها الولاية الموقف نفسه، ودخلا معًا في مواجهات عسكرية، وقُتل من الجانبين الكثير، حتى باتت الولاية مصدر إزعاج لطالبان في الجغرافيا الأفغانية، ورغم نأي قادة طالبان عن القاعدة في السنوات الأخيرة فإن فصيل شبكة حقاني التابع لطالبان حافظ على علاقته الودية مع القاعدة، ويقال إنهما نفذتا عمليات مشتركة ضد ولاية خراسان، وهنا صعد اسم زعيم الفصيل سراج الدين حقاني إلى المركز الثاني في طالبان منذ عام 2015<sup>90</sup>، وستحدث عن ذلك لاحقًا.

ظلت حسابات المكسب والخسارة، خاصة بعد رحيل الملا عمر، هي الحاكمة لشكل العلاقة بين طالبان والقاعدة، وبدا وكأن وفاة بن لادن عام 2011، والكشف عن وفاة الملا عمر في عام 2013، فرصة للانفصال عن القاعدة لما عرف بحجم العلاقة المتينة التي كانت تربط بين الملا عمر وبن لادن، ومع إعلان الظواهري بيعته لمن خلف الملا عمر في زعامة الحركة، وإعلان بيعته للملا أختر منصور، ثم الزعيم الحالي هبة الله أخوند زاده، فإن الأخير لم يعلق على هذه البيعة، ولم يباركها. لم يعد الظواهري يتمتع بالمكانة نفسها التي كان بن لادن يحظى بها مع طالبان، أو حتى بين حلفاء القاعدة الآخرين.<sup>91</sup>

ومن هذه الزاوية، يمكن القول إن القاعدة باتت في حاجة إلى طالبان في اللحظة الراهنة بخلاف أمس، وإنها ليست في مصلحتها مخالفة أو معاكسة توجهاتها في ظل القيادة الحالية للحركة، وإنها مضطرة إلى التشاور معها في المعركة الدائرة مع ولاية خراسان.

Terrorist Groups in Afghanistan -Clayton Thomas, Analyst in Middle Eastern Affairs, August 17, 2021, .87

<https://2u.pw/mUmfT>

.88 المصدر السابق

Terrorist Groups in Afghanistan -Clayton Thomas, Analyst in Middle Eastern Affairs, August 17, 2021, .89

<https://2u.pw/mUmfT>

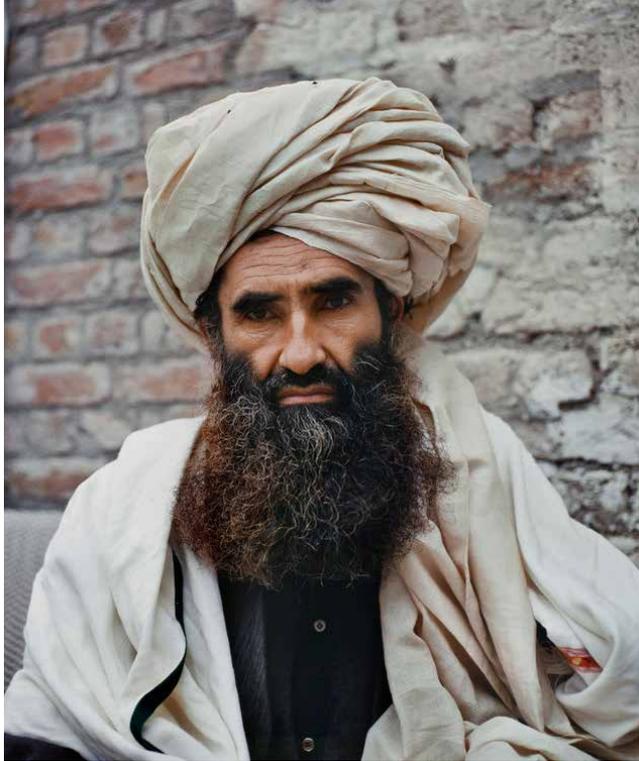
Financial Times- Taliban victory sparks concerns al-Qaeda could regroup. <https://2u.pw/0V6IN> .90

DEADLY COOPERATION: THE SHIFTING TIES BETWEEN AL-QAEDA AND THE TALIBAN, TRICIA .91

BACON-SEPTEMBER 11, 2018, <https://2u.pw/pBhTz>

وعندما أبرمت إدارة ترمب العام الماضي اتفاق السلام مع طالبان الذي أرسى الأسس لانسحاب الولايات المتحدة من أفغانستان هذا العام، كان الموقف من القاعدة ومسارات العلاقة المستقبلية بينها وبين حركة طالبان على رأس قائمة المحادثات بين الجانبين، وبالفعل نص اتفاق فبراير 2020 على أن طالبان لن تسمح لأي من أعضائها، أو أفراد أي جماعات أخرى، بما في ذلك القاعدة، باستخدام أراضي أفغانستان لتهديد أمن الولايات المتحدة.<sup>92</sup> وتشير بعض التقارير إلى أن طالبان في فبراير (شباط) 2021، أصدرت أوامر بمنع أعضائها من إيواء مقاتلين أجانب.<sup>93</sup>

## شبكة حقاني



جلال الدين حقاني بعدسة روبرت نيكلسبرغ، مايو/آيار 1990

تثير ما تسمى بشبكة حقاني كثيرًا من الجدل حولها والتخوفات تجاهها في آن معًا في اللحظة الراهنة؛ بسبب علاقاتها التاريخية القديمة التي جمعت بين مؤسسها جلال الدين حقاني وزعيم تنظيم القاعدة السابق أسامة بن لادن، فضلًا عن علاقات وثيقة وتاريخية مع المخابرات الباكستانية<sup>94</sup>، وكان حقاني من القادة الإسلاميين البارزين المناهضين للسوفييت، وأصبح فيما بعد مسؤولًا بارزًا في طالبان، وفي النهاية أصبح زعيمًا رئيسيًا في مقاومة الحركة للقوات الأمريكية في أفغانستان ما بعد عام 2001، وتوفي حقاني لأسباب طبيعية في سبتمبر (أيلول) 2018.<sup>95</sup>

بعد موته تولى نجله جلال الدين سراج الدين حقاني زعامة الشبكة، وشغل أيضًا منصب نائب زعيم طالبان منذ عام 2015، ويقال إنه حتى اللحظة يحافظ على علاقات وثيقة مع قادة القاعدة، وينظر إلى الشبكة على أنها "حلقة الوصل الأساسية" بين طالبان والقاعدة. وتستمد أيضًا شبكة حقاني كراهية الغرب لها، وتحديدًا الولايات المتحدة؛ نتيجة

عدائيتهم المفرطة، وتنفيذهم سلسلة من العمليات العسكرية النوعية ضد القوات الأمريكية<sup>96</sup>، وهي بمنزلة اليد الطولى لطالبان على القاعدة وأنشطتها في الجغرافيا الأفغانية تحديدًا، والباكستانية.<sup>97</sup>

وما زاد القلق الدولي حيال إشكالية العلاقة بين طالبان والقاعدة ومستقبلها في الحالة الأفغانية أنه خلال المواجهات التي دارت بين الحركة والقوات الأفغانية قبل سقوط كابول في قبضتها، شهدت السجون الأفغانية إطلاق سراح كثير من عناصر تنظيم القاعدة، وكان لسقوط "قاعدة باغرام الجوية" أهمية خاصة؛ لأنها كانت تحتجز أهم سجناء تنظيم القاعدة.<sup>98</sup>

92. المصدر السابق

93. DEADLY COOPERATION: THE SHIFTING TIES BETWEEN AL-QAEDA AND THE TALIBAN, TRICIA BACON-SEPTEMBER 11, 2018, <https://2u.pw/pBhTz>

94. المصدر السابق

95. المصدر السابق

96. DEADLY COOPERATION: THE SHIFTING TIES BETWEEN AL-QAEDA AND THE TALIBAN, TRICIA BACON-SEPTEMBER 11, 2018, <https://2u.pw/pBhTz>

97. Financial Times- Taliban victory sparks concerns al-Qaeda could regroup. <https://2u.pw/0V6IN>

98. Terrorist Groups in Afghanistan -Clayton Thomas, Analyst in Middle Eastern Affairs, August 17, 2021, <https://2u.pw/mUmtT>

لا يمكن الجزم بأن طالبان ستقطع علاقتها بالقاعدة في المستقبل المنظور، خاصة بعد إخضاع الدولة الأفغانية كلها لسلطتها، وتشكيلها الحكومة هناك، لكن يمكن القول وفق العديد من المراقبين أنها القادرة وحدها على كبح جماح التنظيم داخل الجغرافيا الأفغانية، ومنع استخدامها كمنصات للانطلاق منها، والاعتداء على دول الجوار، أو استهداف رعايا الدول الأجنبية، وأماكن تجمعاتهم وسفاراتهم، وما شابه في الداخل الأفغاني.

ما يرجح من هذه الفرضية ما نصت عليه الاتفاقية التي جمعت بين الجانبين الطالباني والأمريكاني وتعهداتها لها بعدم استخدام التنظيمات الجهادية، وخاصة القاعدة، الأرض الأفغانية لشن هجمات على أهداف أجنبية، دون أن تقدم تأكيدات لفصل العلاقة بينها وبين التنظيم، أو انفصالهما بالكلية، وهو ما لا يمكن التنبؤ به، أو القول باحتماليته مستقبلاً؛ وذلك لسببين رئيسيين، أولهما: تعد طالبان شريكاً أساسياً للنجاح الذي وصلت إليه القاعدة في اللحظة الراهنة، وصمودها طوال العقدين الفائتين، خاصة في السنوات العشر الأولى التي تلت الغزو الأمريكي لأفغانستان والإطاحة بحكم طالبان، وهنا يظهر التقليد البشتوني والبعد الإسلامي الأصولي مجتمعين في فهم مقارنة فك الارتباط بين طالبان والقاعدة.

وثانيهما: ما زالت طالبان في حاجة إلى القاعدة؛ فهي أشبه بخزائنها التعبوي لمواجهة ولاية خراسان، ليس في الداخل الأفغاني وحسب؛ وإنما في المنطقة الآسيوية كلها، فهي بمنزلة اليد الطولى لها على الولاية في أماكن وجغرافيات يصعب وصول طالبان إليها.

## ثانياً: طالبان وولاية خراسان

تشكلت ولاية خراسان كفصيل جهادي عام 2014، على يد مجموعة من المقاتلين المنشقين عن حركة طالبان الباكستانية تعهدوا بالولاء لزعيم داعش السابق أبي بكر البغدادي.<sup>99</sup>

وانضم إليهم عدد آخر من المقاتلين السابقين في حركة طالبان الذين لم ترقهم تحولاتها في السنوات الأخيرة، خاصة بعد وفاة الملا محمد عمر، وزاد سخطهم لما رأوه - على عكس الغرب - من أساليب طالبان "المعتدلة والسلمية" بشكل مفرط. كما استقطبت المجموعة جماعات وأفراداً من الحركة الإسلامية الأوزبكية، والحزب الإسلامي التركستاني الذي يضم الإيغور من شمال شرق الصين، وآخرين، فيما انجذب الكثيرون إلى أيديولوجية الدولة الإسلامية في أوج صعودها في الفترة بين عامي 2014 و2017 في تمركزات حواضرها آنذاك في الرقة السورية، والموصل العراقية، والانطلاق نحو الدعوة إلى خلافة إسلامية عالمية، تنصهر فيها كل الحركات والتيارات الإسلامية الجهادية المختلفة، وتعلن تبعيتها وولاءها لها، وهو هدف لم تتبناه طالبان قط.<sup>100</sup>



حافظ سعيد خان، المصدر: الجزيرة نت

وكان المقاتلون يتمركزون في شرق أفغانستان، ولا سيما في إقليم ننجرهار، المتاخم لإقليم باكستان، عند إعلان الدولة الإسلامية تشكل فرعها الآسيوي "ولاية خراسان" في يناير (كانون الثاني) 2015، ومن ذلك التاريخ أضحت ولاية خراسان من أكثر الفروع نجاحاً لتنظيم الدولة الإسلامية.<sup>101</sup>

قاد القيادي السابق في طالبان باكستان حافظ سعيد خان (1972-2016)م ولاية داعش خراسان كأول أمير لها منذ عام 2014، وجلب معه أعضاء بارزين آخرين في حركة طالبان باكستان في ذلك الوقت، بما في ذلك المتحدث باسم

99. Terrorist Groups in Afghanistan -Clayton Thomas, Analyst in Middle Eastern Affairs, August 17, 2021, <https://2u.pw/mUmtT>

100. المصدر السابق

101. Financial Times- Taliban victory sparks concerns al-Qaeda could regroup. <https://2u.pw/0V6iN>

الجماعة الشيخ مقبول، وكثير من رؤساء المناطق<sup>102</sup>، والقائد السابق لطالبان عبدالرؤوف خادم<sup>103</sup>، وكان كثير من هؤلاء الأفراد مدرجين في مجلس شوري خراسان الأول، أو مجلس القيادة.<sup>104</sup>

منذ تأسيسها عام 2015، حظيت ولاية خراسان باهتمام شديد من المركز، وتلقت دعماً لوجستياً ومالياً يقدر بمئات الآلاف من الدولارات من القيادة الأساسية لتنظيم الدولة الإسلامية في العراق وسوريا، رغبة في توسع الحركة في آسيا الوسطى، وعقب خسارة تنظيم "الدولة الإسلامية" أراضيه في الشرق الأوسط، تحول بشكل متزايد إلى أفغانستان كقاعدة لخلافة عالمية.<sup>105</sup>

تلقي أيضاً التنظيم ضربات موجعة عملت على وقف تمدده، استهدفت قياداته في أوقات قصيرة، بدءاً من قتل الأمير المؤسس حافظ سعيد خان في غارة جوية أمريكية في مقاطعة نجرهار بأفغانستان في يوليو (تموز) 2016، مروراً بمقتل كل من عبدالحسيب وأبو سيد، القياديين اللذين خلفا خان بعد عام من مقتله، وتحديدًا عام 2017، ثم أبو سعد إرحابي، الشهير بأبي سيد أوراكزاي، في أغسطس (آب) 2018.<sup>106</sup>

بات ينظر إلى ولاية خراسان، خاصة بعد تصنيف وزارة الخارجية الأمريكية تنظيم داعش الإرهابي منظمة إرهابية أجنبية في 14 يناير (كانون الثاني) 2016، على أنها تمثل عقبة كؤوداً في إتمام مصالحة سلمية، وبناء الدولة في أفغانستان في المستقبل المنظور<sup>107</sup>، وهو ما حدث بالفعل في التحضيرات لرحيل القوات الأمريكية عن أفغانستان، حينما استهدف مطار كابول، وهو ما سنعرض له لاحقاً.

استطاعت الضربات العسكرية الأمريكية والحكومية الأفغانية في الفترة بين عامي 2018 و2019 القضاء على جيوب ولاية خراسان في قواعدها الرئيسية شرق أفغانستان، وقد أجبرت هذه الخسائر الإقليمية المجموعة على "اللامركزية".<sup>108</sup>

يقدر عدد مقاتلي الولاية بنحو 2000 مقاتل يتوزعون بين الشمال والشرق الأفغانيين، وأعلن التنظيم مسؤوليته عن كثير من التفجيرات الواسعة النطاق ضد المدنيين، كان أبرزها مؤخراً استهداف مدرسة الفتيات في كابول، مايو (أيار) 2021، فيما تستهدف- دورياً- الأقليات والتجمعات الإسلامية المذهبية الأخرى، مثل الأقلية الشيعية<sup>109</sup>، وهجمات أخرى في مقاطعات كونار، وجوزجان، وباكتيا، وكوندوز، وهرات.<sup>110</sup>

ينظر "داعش" إلى طالبان باعتبارها حركة وطنية مرتدة تتعامل مع إيران، ولها علاقات وطيدة معها، وهو ما يخالف التوجه الفكري للتنظيم الذي يرى أن الحركة ليست لها علاقة بما تطلق عليه "الجهاد"؛ لما شهدته من تحولات قزمت دورها نتيجة رغبتها في أن تنكفئ على واقعها الأفغاني، وفي سبيل ذلك لجأت إلى تحسين علاقاتها بالجوار على حساب مشروعها الجهادي.<sup>111</sup>

102. المصدر السابق

103. معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، عودة "إمارة أفغانستان الإسلامية": الحالة الجهادية الراهنة، هارون ي. زيلين، 18 أغسطس، 2021.

<https://2u.pw/VsH0W>

104. Aljazeera- What we know about Islamic State in Khorasan Province (ISIS-K), ISKP has claimed responsibility for the deadly suicide attacks outside Kabul airport. Here's what we know about this group. Aug 27, 2021,

<https://2u.pw/yyV54>

105. Explainer: How dangerous is Afghanistan's Islamic State? By KATHY GANNON and ELLEN KNICKMEY-

ER- August 27, 2021, <https://2u.pw/vIqWz>

106. Terrorist Groups in Afghanistan -Clayton Thomas, Analyst in Middle Eastern Affairs, August 17, 2021,

<https://2u.pw/mUmtT>

107. The Center for Strategic and International Studies (CSIS), Islamic State Khorasan (IS-K), This analysis of IS-K was published in 2018 and is not being updated. For a more recent analysis of Islamic State Khorasan from the

Transnational Threats Project. <https://2u.pw/eyGbg>

108. المصدر السابق

109. المصدر السابق

110. The Center for Strategic and International Studies (CSIS), Islamic State Khorasan (IS-K), This analysis of IS-K was published in 2018 and is not being updated. For a more recent analysis of Islamic State Khorasan from the

Transnational Threats Project. <https://2u.pw/eyGbg>

111. المصدر السابق

ويُرجع تنظيم "داعش" ردة طالبان إلى ما حدث من تسلط المسؤولين في الحركة، والمعنيين بإدارة المشهد الخارجي ورسم سياسات العلاقة مع محيطهم الإقليمي والدولي سنوات كثيرة، الذين أوقعوا الملا محمد عمر في شركهم، ووضعوه تحت الإقامة الجبرية شهوراً عزّل خلالها عن العالم الخارجي- على حد زعمه- وعلى إثرها تناولت هذه المجموعة مقاليد الإدارة؛ ما دفعها إلى الدعوة إلى مقاتلة تنظيم "داعش"، وانطلاقاً من ذلك يرى التنظيم وجوب قتالها باعتبارها مرتدة.<sup>112</sup>

بينما واصلت طالبان محادثات السلام مع الولايات المتحدة في السنوات الأخيرة، كان داعش ينتقد مسارات طالبان التفاوضية ويعدها انتكاسة عن خط الملا عمر وأسامه بن لادن.<sup>113</sup>

ويعلق داعش على تطورات المشهد الأفغاني التي تلخص رؤيته تجاهها على أن سلسلة التفاوضات وما انتهت إليه من اتفاقات، جرت بين طرفين أحدهما "صليبي" - الولايات المتحدة الأمريكية- والآخر "مرتد"، والمعني به هنا هو حركة طالبان، وبموجب سلم الجانب الأمريكي البلاد للحركة، إذ إن قرار الانسحاب لدى الجانب الأمريكي كان لا عودة عنه، بدأه ترمب وأتمه بايدن، وإن سقوط البلاد في أيدي طالبان كان نتيجة طبيعية بعلم ورضا من وقع على الاتفاق.<sup>114</sup>

ويؤكد التنظيم أن نصره الإسلام لا تمر عبر فنادق قطر، ولا سفارات روسيا والصين والإمارات، وأن النصر الذي توقع عليه أمريكا، وترعاه قطر وإعلامها، وتباركه السرورية والمرجئة والإخوان لهو نصر "موهوم"، حسب وصفه.<sup>115</sup>

وينتهي التنظيم إلى رؤية مفادها أن "الصليبيين"، والمعني بهم هنا الولايات المتحدة الأمريكية، أدركوا فشل نموذج الإخوان المرتدين في تولي مهمة الحرب الفكرية ضد الدولة الإسلامية حتى بعد وصولهم إلى سدة الحكم، فكان لا بد من البحث عن نموذج آخر يرون فيه فرصة أفضل لمواجهة تنظيم الدولة الإسلامية وتقديمه كبديل له بين أبناء المسلمين، فكانت طالبان الجديدة هي البديل الذي يجمع بين المواجهة العسكرية والفكرية معاً.<sup>116</sup>



أفراد من تنظيم داعش خراسان، المصدر: وسائل التواصل الاجتماعي

112. Terrorist Groups in Afghanistan -Clayton Thomas, Analyst in Middle Eastern Affairs, August 17, 2021,

<https://2u.pw/mUmfT>

المصدر السابق

114. Afghanistan airport attack: Who are IS-K? By Frank Gardner, BBC security correspondent, 27 August 2021,

<https://2u.pw/eb5Db>

115. ما بعد التصدع- هل يتحالف "داعش" و"القاعدة" بعد معركة الموصل؟، مركز المستقبل للدراسات، مصطفى زهران، الثلاثاء، 18 يوليو، 2017.

<https://2u.pw/tLVN2>

المصدر السابق

في أعقاب ذلك، ما لبث أن استقبل التنظيم بدايات انسحاب القوات الأمريكية من مطار كابول، وإجلاء المتعاونين، واضطراب المشهد في مداخل المطار، حتى نفذ أحد مقاتليه هجوماً انتحارياً رأى التنظيم أنه حقق هدفه منهجياً من خلال تمييزه بين سبيل المؤمنين وسبيل المشركين، وأكد مجدداً أبدية الجهاد واستمراره.<sup>117</sup>

يذكر داعش، من خلال صحيفته الأسبوعية، أن الغرض من الهجوم الذي وصفه "بالمبارك"، هو إيقاظ قلوب الغافلين الذين قادتهم طالبان والقاعدة إلى نفق الانحرافات ليصبحوا ويتوبوا ويفيئوا إلى الجماعة- أي الانضمام إلى التنظيم- ويعلنوا مواصلة الجهاد ضد الكافرين كافة، وعلى رأسهم أمريكا، التي توجب عليهم اتفاقية الدوحة حمايتها، والقتال دونها ضمن مكافحة الإرهاب.<sup>118</sup> وفي المجمل، بات مسلحو تنظيم الدولة الإسلامية في اللحظة الراهنة يمثلون تحدياً أمنياً كبيراً لحكومة طالبان المؤقتة.<sup>119</sup>

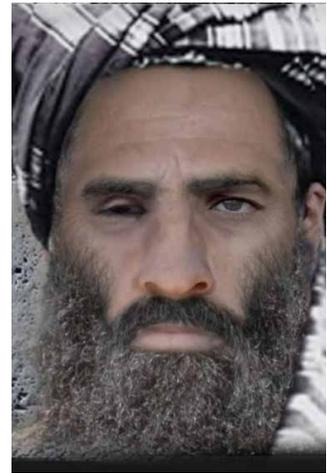
إن جوهر الخلاف بين تنظيم الدولة وطالبان يتمثل في ثلاثة أمور رئيسية، أولها: عدم تبعية الحركة، وإعلان ولائها لخلافة داعش، ومبايعة "خليفة المسلمين" المزعوم، أبي إبراهيم الهاشمي القرشي، وهو أمر يتناقض مع الطبيعة التكوينية لحركة إسلامية محلية مثل طالبان، تقتصر أنشطتها على العمل المحلي، وربما الإقليمي. وثانيها: تعارض نموذج إمارة المؤمنين الذي تطرحه الحركة مع نموذج الخلافة العالمية الذي يقدمه داعش، وتباين المنطلقات الفكرية والفقهية بين الجانبين، فيما مثل نجاح طالبان في إحكام سيطرتها على أفغانستان بعد خروج القوات الأمريكية من أفغانستان إخراجاً؛ بل تقزيباً لمشروع داعش كله، الذي عجز عن القيام بما حققته طالبان، وهو ما يجعل مشروع طالبان أكثر جذباً، وذا بريق عن مشروع خلافة داعش.

أخيراً: تعي ولاية خراسان جيداً أن ثمة تحالفاً ظاهرياً بموجب اتفاقية السلام بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية، وآخر غير معلن بين الحركة والقاعدة، لمحاصرة ولاية خراسان في مناطق نفوذها؛ ومن ثم اجتثاث جذورها ابتداءً من أفغانستان ثم المحيط الآسيوي؛ ما يعني أن ثمة معركة ينتظرها التنظيم قد تكون مغايرة ومختلفة وأكثر ضراوة عن سابقتها في هذه الجغرافيا على وجه الدقة.

## ثالثاً: منعرجات علاقة طالبان بنظيرتها الباكستانية والسلطة السياسية في باكستان

في إطار السعي إلى فهم محددات العلاقة بين حركة طالبان ودولة باكستان، سواء على المستوى الرسمي أو الشعبي، نجدتها متشابكة ومركبة إلى حد كبير؛ نظراً إلى التأثير المتبادل بين الحركة والمشهد الباكستاني على المستويين السياسي والمجتمعي؛ إذ إن طالبان يمكن النظر إليها على أنها في الأساس أحد تمثيلات العلمانية الباكستانية السنية- ممثلة في المدارس الديوبندية- كما قدمنا سلفاً؛ ومن ثم فهي تؤثر في المحيط الباكستاني وتتأثر به، وهو ما أوجد للفاعل الباكستاني حضوراً دائماً ووثيق الصلة معها، ولا ينفى ذلك أن تتخلله محطات تتعارض فيها مصالحهما بعض الوقت، وتتوافق في كثير منه.

تلقي مؤسس الحركة الملا محمد عمر تدريباً في باكستان على يد المخابرات الباكستانية- وفق الرواية الغربية- خلال الحرب ضد السوفييت في الثمانينيات، وعندما أصيب حصل على رعاية طبية في مستشفى باكستاني، وبعد انسحاب السوفييت من أفغانستان، كان أحد أمراء الحرب الذين يقف خلفهم بقوة الجيش الباكستاني، مقدماً إليهم الدعم لدخول كابول عام 1996، التي منحت طالبان السيطرة على معظم البلاد، وفي سبيل ذلك لم تبخل باكستان في تقديم الخبراء والمستشارين لجيش طالبان، ودعمها مادياً أيضاً.<sup>120</sup>



الملا محمد عمر،  
المصدر: وسائل التواصل الاجتماعي

117. صحيفة النبا الأسبوعية الداعشية، العدد 300، الخميس 10 محرم، 1443هـ.
118. المصدر السابق
119. المصدر السابق
120. صحيفة النبا الأسبوعية الداعشية، العدد 300، الخميس 10 محرم، 1443هـ.

بعد الغزو الأمريكي لأفغانستان والإطاحة بطالبان، فتحت باكستان أرضها للملا عمر، ورفاقه ومعظم مساعديه، وبمساعدة وكالة الاستخبارات الباكستانية أعادوا بناء البنية التحتية للحركة في المناطق الحدودية، وأعادوا ترتيب صفوفهم مرة أخرى، وصعدوا هجماتهم تدريجيًا على قوات الناتو والقوات الأفغانية.<sup>121</sup>

ذهبت المساعدات الباكستانية إلى ما هو أبعد من الملاذ الآمن للقيادة وقيادات الحركة وعائلاتهم، فقد اشتملت على التدريب، والأسلحة، والخبراء، والمساعدة المالية أيضًا، وتشير بعض التقارير الغربية إلى أنه في بعض الأحيان رافق مستشارون باكستانيون طالبان في مهام داخل أفغانستان، وتتصاعد التكهنات بأن الملا عمر مات على الأرجح في كراتشي الباكستانية.<sup>122</sup>، وإضافة إلى ذلك، تمتلك طالبان عقارات في باكستان، وتتلقى تبرعات كبيرة من الأفراد في البلاد.<sup>123</sup>

لكن مع هذه العلاقة المتشابكة والقوية، وتحت الضغط القوي للولايات المتحدة الأمريكية، لجأت باكستان إلى تغيير سياستها في بعض الأحيان تجاه حركة طالبان الأفغانية؛ ما دفعها إلى سجن بعض قادتها، مثل الملا عبدالغني بارادار- أحد مؤسسي طالبان، وقد عاد الآن واحدًا من قادة الجماعة- خاصة مع ظهور بعض القيادات العسكرية الباكستانية التي تحذر من صعود طالبان وتداعياتها على المشهد السياسي والمجتمعي الباكستاني، وكان الجنرال قمر جاويد باجوا، أحد أولئك الذين حذروا من قدرة طالبان على زعزعة استقرار باكستان.<sup>124</sup>

لكن هذه الأصوات المعارضة لهذه العلاقة الوثيقة بين باكستان وحركة طالبان، وعلى الرغم من الضغوط الخارجية، خاصة من الجانب الأمريكي، لا يمكنها أن تثني باكستان عن هذا المسار الذي سلكته منذ عقود مع حركة طالبان أفغانستان، إذ إن دعم باكستان لطالبان في جزء منه كان هدفه احتواء القومية البشتونية من جهة، ومواجهة الهند من خلال وجود حكومة صديقة لباكستان في أفغانستان، من جهة أخرى.<sup>125</sup>

وتبقى مسألة أخرى تظهر خلالها براجماتية الجانب الباكستاني في علاقته مع طالبان، خاصة مع التطورات الجديدة على الساحة الأفغانية، وتشكيلها للحكومة، في أن تنعكس علاقتهما معًا إيجابًا على ترسيم الحدود البرية بين باكستان وأفغانستان على امتداد 2640 كلم، خاصة في ظل حساسية الجانب الباكستاني من خط "دوراند" (نسبة إلى وزير الخارجية البريطاني لشؤون الهند أواخر القرن الـ 19 هنري مورتيمر دوراند) الذي لا تزال أجزاء كبيرة منه غير مرسمة بصورة نهائية، أو متداخلة، وتحتوي على قبائل بشتونية.<sup>126</sup>

وعلى الرغم من إنفاق باكستان ملايين الدولارات على مدى السنوات القليلة الماضية لتعزيز الحدود وترسيمها، فإن طالبان، انسجامًا مع الحكومات الأفغانية الأخرى، لم تقبل خط دوراند، ولا محاولات باكستان ترسيمه ماديًا.<sup>127</sup>

## طالبان باكستان

على الضفة الأخرى، وفي سياق تاريخية العلاقة بين الجانبين الطالباني والباكستاني، تعد قضية طالبان باكستان (منظمة إرهابية محظورة في روسيا) من الموضوعات المحورية الشديدة الأهمية، خاصة مع الصعود الأخير للحركة، وأنها أحد ارتدادات ظهور الحركة على المشهد الأفغاني.

تتألف حركة طالبان باكستان من مجموعات صغيرة من "البشتون" المتشددين دينيًا، ويغلب عليهم التوجه السلفي،

121. المصدر السابق

122. المصدر السابق

123. Afghanistan airport attack: Who are IS-K? By Frank Gardner, BBC security correspondent, 27 August 2021,

<https://2u.pw/eb5Db>

124. the Brookings Institution, Pakistan's problematic victory in Afghanistan, Bruce Riedel Tuesday, August 24,

2021, <https://2u.pw/fda0U>

125. المصدر السابق

126. the Brookings Institution, Pakistan's problematic victory in Afghanistan, Bruce Riedel Tuesday, August 24,

2021, <https://2u.pw/fda0U>

127. المصدر السابق

إلا أنها تأثرت في نشأتها بطالبان أفغانستان تأثراً كبيراً، إن لم تكن استنساخاً واضحاً ولكن باكستانياً، متأثرة بتجربتها في الجهاد الأفغاني، وفترة إمارتها الأولى قبل الإطاحة بها عام 2001، فيما تنتشر على طول الحدود الأفغانية الباكستانية، وخلال السنوات الفائتة، وتحديداً منذ عام 2007، تصاعدت هجماتها العسكرية على باكستان التي تتهمها باستهداف المدنيين.<sup>128</sup>



حكيم الله محسود بين رجاله من أفراد حركة طالبان الباكستانية، المصدر: أ.ف.ب

عايشت طالبان باكستان جملة من التحولات، خاصة بعد وفاة الزعيم حكيم الله محسود (1979-2013) في غارة أمريكية بطائرة بدون طيار في ولاية كونار بأفغانستان، التي بدأت معها الحركة تسلك اتجاه الانقسام والانشطار؛ ما أدى إلى انخفاض كبير في نشاط الجماعة في السنوات اللاحقة، وكان من أبرز هذه التحولات والمتغيرات التي حدثت خلال المرحلة السابقة اقترابها من داعش، حيث تعهد بعض أعضاء الحركة عام 2014 بالولاء لتنظيم الدولة الإسلامية؛ ما أثار حينها موجة من الجدل بشأن مستقبل الحركة، خاصة أنها باتت تتعارض مع أيديولوجية الحركة التي تأثرت بها في بدايتها، ومع عمليات الجيش الباكستاني وزيادة ضرباته العسكرية ضدها انتقلت إلى شرق أفغانستان.<sup>129</sup>

كانت طالبان الباكستانية تضم آلاف المقاتلين في سنواتها الأولى، وقاتلت إلى جانب نظيرتها الأفغانية داخل أفغانستان ضد الحكومة الأفغانية<sup>130</sup>؛ ما دفع الولايات المتحدة الأمريكية إلى إدراجها على قائمة المنظمات الإرهابية العالمية.<sup>131</sup>

مع الوقت، بدأ الباكستانيون يتباينون في مواقفهم إزاء الحركتين، ففي الوقت الذي يقدمون دعمهم لطالبان الأفغانية يعارضون النسخة الباكستانية منها، ومع الوقت حجت الدولة الباكستانية الصلات بين الجماعتين.<sup>132</sup>

## ما الذي تريده باكستان من حركة طالبان؟

لدى باكستان هواجس عدة تجاه تحولات الأصولية المتطرفة في الداخل الباكستاني من صعود داعش ممثلاً في ولاية خراسان، ومحاولة جذب قطاعات إسلامية أصولية في الداخل الباكستاني، ومن تداعيات وصول طالبان إلى السلطة، وإن كانت جزءاً من هذا المشهد منذ بدايته، إذ إن دعوات الانفصال والدعوة إلى قيام دولة باشتونية، أو ما تسمى بـ "البشتونستان"، أو وطن البشتون التقليدي، الذي تضعه حركة طالبان باكستان على رأس أهدافها، لا شك أنه يثير قلقاً لا ينتهي لدى الجانب الباكستاني.<sup>133</sup>

ومن أجل ذلك تسعى باكستان إلى تعزيز وجودها في المرحلة القادمة على المستوى السياسي من أجل التعاون مع طالبان لمواجهة ولاية خراسان من جهة، وتحالف طالبان باكستان معها من جهة أخرى، وعدم استخدام الأخيرة

128. Asia Program, Pakistan's Support for the Taliban: What to Know, Article by Manjari Chatterjee Miller,

August 25, 2021, <https://2u.pw/lbjq6>

المصدر السابق

130. خط دورند، الحدود الأفغانية الباكستانية، موقع "معرفة" الإلكتروني. <https://2u.pw/JJsO5>

131. Council on Foreign Relations, Asia Program, Pakistan's Support for the Taliban: What to Know, Article by

Manjari Chatterjee Miller, August 25, 2021, <https://2u.pw/lbjq6>

المصدر السابق

133. Terrorist Groups in Afghanistan -Clayton Thomas, Analyst in Middle Eastern Affairs, August 17, 2021,

<https://2u.pw/mUmtT>

الأراضي الأفغانية لتنفيذ عملياتها المسلحة ضد باكستان، ويبدو أن باكستان استبقت تشكيل الحكومة الأفغانية بزيارة الجنرال فايز حميد، رئيس وكالة الاستخبارات الباكستانية، إلى كابول للتنسيق في هذه الملفات وحسمها قبيل إعلان تشكيل الحكومة، واحتفالات طالبان بوصولها إلى السلطة ورحيل القوات الأمريكية وحلف الناتو عن أفغانستان.<sup>134</sup>

إن القلق الباكستاني بشأن الحدود مع أفغانستان لم يتوقف منذ عام 1947 حتى اللحظة، خاصة في ظل رفض الحكومات الأفغانية المتعاقبة لخط دوران-د- كما عرضناه سابقاً- الذي يفصل المناطق التي يسيطر عليها البشتون الباكستانيون عن أفغانستان، ودائماً ما كانت أفغانستان- موطن الأغلبية البشتونية- تطالب بضم هذه الأراضي التي هي بحسبهم جزء من وطن البشتون التقليدي، إلا أن وصول طالبان إلى السلطة وإدارتهم للبلاد، يمكن أن يقلل من مخاوفهم؛ اعتقاداً من بعض الأطراف الباكستانية، أن أيديولوجية طالبان الأصولية الإسلامية قد تكون أكثر قوة من الهوية البشتونية، وإن كانت متمزجة معها.<sup>135</sup> انطلاقاً من تلك الرؤى (محل الشك)، تتلخص الرؤية القديمة الجديدة لباكستان تجاه حركة طالبان، وهو ما يفسر رغبتها في أن تكون هناك حكومة صديقة لباكستان في أفغانستان.<sup>136</sup>

في المقابل، تشير بعض المصادر إلى أن حركة طالبان استجابت للمطالب الباكستانية، وحاولت طمأنتها من خلال تشكيل لجنة رفيعة المستوى للعمل على الضغط على المسلحين المناهضين لباكستان لوقف عملياتهم العسكرية نحوها، والعودة إلى ديارهم عبر الحدود مع عائلاتهم، وقد شكلت اللجنة بأوامر من زعيم الحركة هبة الله أخوند زاده للنظر في شكاوى إسلام آباد، وأكدت المصادر أن قادة حركة طالبان حذروا قيادات طالبان الباكستانية من أجل تسوية مشكلاتهم مع باكستان مقابل عفو محتمل من الحكومة الباكستانية<sup>137</sup>، مع تأكيدات من جانب طالبان أنها لن تسمح لحركة طالبان الباكستانية باستخدام الأراضي الأفغانية ضد إسلام آباد.<sup>138</sup>

هناك أمر آخر تسعى باكستان من خلال توثيق علاقتها بحركة طالبان الأفغانية في المرحلة المقبلة إلى تحقيقه والعمل عليه بشكل دقيق؛ إذ تتهم باكستان الهند بالسعي إلى استغلال انقساماتها العرقية واللغوية لرزععة الاستقرار وتفتيت البلاد، ويمكن لحكومة طالبان مساعدة باكستان في مواجهة الهند من خلال تأثيراتها الفكرية، وانعكاسات وصولها إلى السلطة على الجماعات الإسلامية هناك، خاصة التي تتقاطع معها فكرياً، أو من خلال توفير ملاذ للجماعات الجهادية المناهضة للهند<sup>139</sup>، وهي فرضية ضعيفة على الأقل في المستقبل المنظور.

## رابعاً: طالبان والإيغور والصين

تعود العلاقات الصينية مع حركة طالبان منذ أيام الملا محمد عمر، ويذكر القيادي الطالباني السابق عبدالسلام ضعيف، الذي كان يشغل سفير طالبان لدى باكستان- في كتابه- أن سفير الصين كان الوحيد الذي يقيم علاقات جيدة مع السفارة وأفغانستان، وقد طلب السفر إلى أفغانستان ومقابلة رئيس الحركة، وهو ما تحقق بعد ذلك، وأنه في أثناء اللقاء عبّر السفير عن قلق الصين إزاء احتمالية أن تساعد حركة طالبان الحركة الإسلامية الانفصالية في إقليم "شيشيانغ" الصيني، إلا أن الملا عمر بادر إلى طمأنته على أن أفغانستان لا تتدخل في شؤون الصين الداخلية، ولا تسمح لأي مجموعة أن تستخدم أراضيها للقيام بأي عمليات تدعم ما يحدث في شيشيانغ.<sup>140</sup> وعقب الأحداث التي تلت تدمير طالبان لتمثيل بودا، ثم الغزو الأمريكي لأفغانستان وتداعيات ذلك على الحركة، كانت الصين الدولة الوحيدة- غير باكستان- التي حافظت على علاقات مستمرة ومباشرة مع قادة طالبان، وتميزت هذه العلاقات بأنها

134. المصدر السابق

135. Afghan Taliban Commission Looking Into Pakistan's Terror-Related Concerns, By Ayaz Gul, August 21, 2021, <https://2u.pw/L6svh>

136. The Brookings Institution, An uneasy limbo for US-Pakistan relations amidst the withdrawal from Afghanistan, Madiha AfzalFriday, August 6, 2021, <https://2u.pw/MRxrT>

137. روسيا اليوم، رئيس الاستخبارات الباكستانية يزور كابول بدعوة من طالبان، تاريخ النشر: 4 سبتمبر 2021 <https://2u.pw/10M7Y>

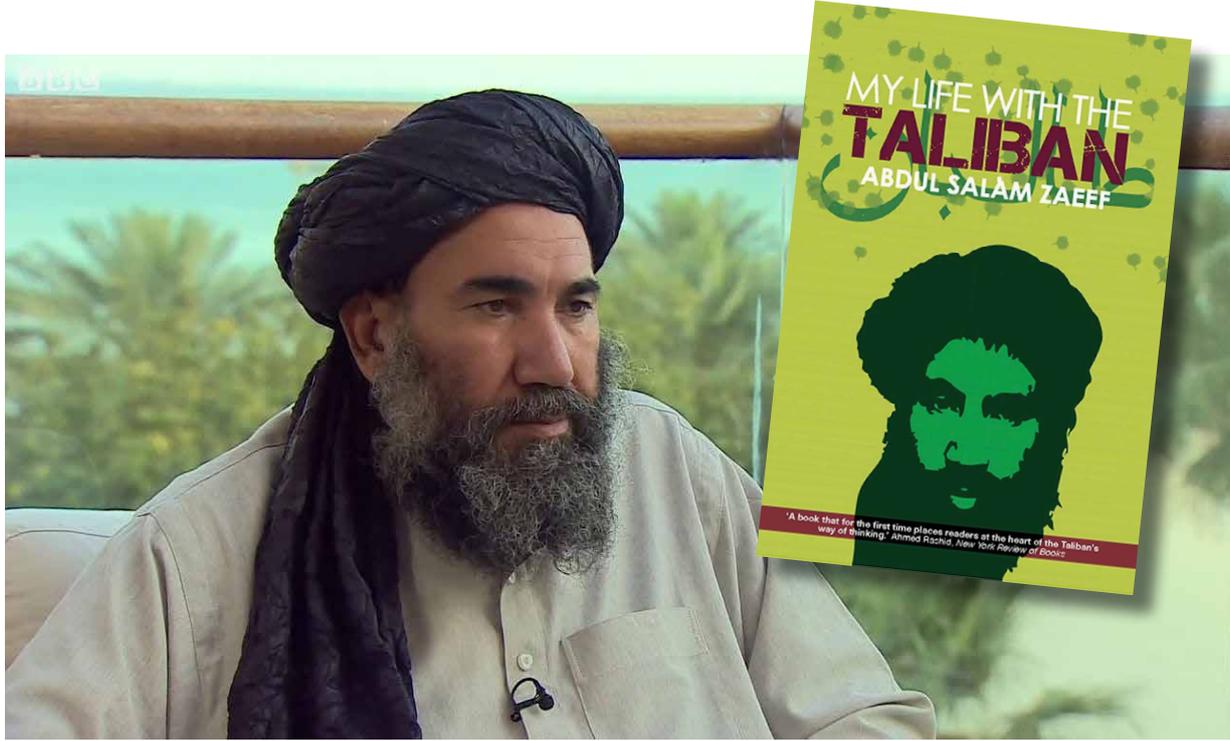
138. المصدر السابق

139. Council on Foreign Relations, Asia Program, Pakistan's Support for the Taliban: What to Know, Article by Manjari Chatterjee Miller, August 25, 2021, <https://2u.pw/lbjq6>

140. المصدر السابق

جيدة<sup>141</sup>، ما يعكس براغماتية الصين وأهدافها البعيدة المدى مع الحركة، وهو ما تحقق بالفعل بعد عودتها مرة أخرى عام 2021 لحكم أفغانستان.

إن القضية الرئيسية لدى الصين مع الجارة أفغانستان، وفي سياق علاقتها مع حركة طالبان خلال العقدين الفائتين، تتمثل بشكل رئيسي في تخوفاتها من الحركات الإسلامية الانفصالية الممثلة في حركة تركستان الشرقية، التي تعمل على تثوير الإيغور، والاستقلال عن الصين، والحركة الإسلامية الأوزبكية (منظمة إرهابية محظورة في روسيا) وتأرجح ولاءاتها بين تنظيمي القاعدة وداعش، وما تمثله من مصدر قلق كبير للصين، والمسألة الإسلامية الجهادية فيها.<sup>142</sup>



عبد السلام ضعيف سفير طالبان في باكستان  
وكتابه "My Life with the Taliban"، المصدر: وسائل التواصل الاجتماعي.

تتكون حركة تركستان الشرقية الإسلامية (منظمة إرهابية محظورة في روسيا) من مسلمي الإيغور الراغبين في الاستقلال وتأسيس دولة إسلامية تسمى "تركستان الشرقية"، وهو ما دفع الصين إلى تصنيفها جماعة إرهابية.<sup>143</sup>، وعقب وجود معلومات تفيد بوجود علاقة بينها وبين تنظيم القاعدة قدمتها الصين، صنفت الأمم المتحدة والولايات المتحدة رسمياً في حركة شرق تركستان الشرقية عام 2002 أيضاً جماعة إرهابية، خاصة بعد أن حصلت من الصين على دلائل تؤكد صلتها بتنظيم القاعدة المسؤول عن هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001 في الولايات المتحدة.<sup>144</sup>

في موازاة ذلك، تشكلت الحركة الإسلامية الأوزبكية عام 1998 بهدف الإطاحة بالرئيس إسلام كريموف من أوزبكستان، وإنشاء دولة إسلامية تعمل على تطبيق الشريعة الإسلامية، وقد شكلها الأوزبكيون الذين قاتلوا مع القوات الإسلامية

141. Afghan Taliban Commission Looking Into Pakistan's Terror-Related Concerns, By Ayaz Gul, August 21, 2021, <https://2u.pw/L6svh>

142. The Hindu-Taliban assure it won't allow TTP to use Afghan land against Islamabad: Pakistan government ISLAMABAD, AUGUST 23, 2021, <https://2u.pw/mXVUW>

143. Council on Foreign Relations, Asia Program, Pakistan's Support for the Taliban: What to Know, Article by Manjari Chatterjee Miller, August 25, 2021, <https://2u.pw/lbjq6>

144. ملامح المشروع السياسي لطالبان، كرم الحفيان، المركز المصري للدراسات، يوليو، 2019. <https://2u.pw/ijjdi>

في الحرب الأهلية في طاجيكستان (1992-1997)، وسعت بعد ذلك نحو توثيق علاقتها بتنظيم القاعدة، وتحالفت معه سنوات، فضلاً عن صلاتها بطالبان.<sup>145</sup> وفي عام 2000 صُنفت منظمة إرهابية بعد أن شنت هجمات على دول أخرى في آسيا الوسطى.<sup>146</sup>

## تحولات الحركة الإسلامية الأوزبكية

حافظت الجماعة منذ التسعينيات على علاقاتها مع حركة طالبان الأفغانية، فيما أسهم صعود تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" في شطرها إلى نصفين، ففي منتصف عام 2015، أعلن فصيل داخلها- علناً- الولاء لتنظيم داعش، وكان ذلك سبباً رئيسياً في خريف العلاقة بينها وبين حركة طالبان التي أنكرت على هذا الفصيل داخل الحركة توجهه نحو داعش<sup>147</sup>، هذا المتغير الحاد داخل الحركة دفع فصيلاً آخر داخله نحو معارضته، محتفظاً باسم الحركة، مؤكداً رفضه لتنظيم الدولة، ومحافظاً على علاقاته التاريخية مع طالبان وتنظيم القاعدة.<sup>148</sup>

لكن اللافت أنه بحلول عام 2020، أزالته الولايات المتحدة، بشكل مثير للجدل، الجماعة من قائمة الإرهاب بدعوى أنه لا يوجد دليل موثوق به على استمرار وجود الجماعة أكثر من عقد من الزمان، وهو ما دفع الصين إلى انتقاد القرار الأمريكي، في حين احتفل به الإيغور في جغرافيات هجراتهم المختلفة.<sup>149</sup>

وخلال المباحثات التي جرت بين الطرفين مطلع هذا العام، استضاف وزير الخارجية الصيني وانغ يي وفداً من حركة طالبان بقيادة الملا عبدالغني بارادار، رئيس اللجنة السياسية لطالبان آنذاك، ودعا وانغ حركة طالبان إلى بناء صورة إيجابية، وإزالة التخوفات الصاعدة من دول الجوار إزاء صعود الحركة، وقرب إخضاع أفغانستان لسيطرتها.<sup>150</sup>

ومع عودة طالبان إلى السلطة، وجهود الصين لإقامة علاقة دبلوماسية معها، عادت قضية صلات طالبان بالحركة إلى الواجهة مرة أخرى<sup>151</sup>، وهو ما دفع حركة طالبان، من خلال تصريحات للمتحدث باسم الحركة محمد نعيم، إلى تأكيد أنها لن تسمح أبداً لأي قوة باستخدام الأراضي الأفغانية للانخراط في أعمال ضارة بالصين.<sup>152</sup>

إن جل ما تطمح إليه الصين في المستقبل المنظور، وعملت عليه خلال السنوات الفائتة، هو الحيلولة دون تمدد أحلام الانفصاليين والجماعات الإسلامية المتشددة في التأثير في القوى الاقتصادية الصينية الصاعدة وتمركزاتها في هذه الجغرافيا الشديدة الأهمية والحساسة في آن معاً. وهي في الوقت نفسه تناور أمام الفخاخ التي تحاول الولايات المتحدة الأمريكية دفعها نحوها من قبيل إزالة الحركة الإسلامية الأوزبكية من قوائم الإرهاب، ولأمريكا أهداف تتعدى فكرة قضية الإيغور المسلمين في الصين والجماعات الإسلامية المسلحة المنحدرة منها، أو التي تبحث نحو الدفاع عنهم أو حمل قضيتهم؛ لذلك تتمثل إستراتيجية الصين في عقد تحالفات مع حركة طالبان لمحاصرة جيوب الحركات الانفصالية الإيغورية المسلحة في الداخل الأفغاني من جهة، وقطع الطريق أمام إمداداتهم اللوجيستية والمالية التي تمكن لهم البقاء والتمدد؛ ومن ثم سهولة استهداف المصالح الصينية.

في موازاة ذلك، ذهبت بعض الفرضيات إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية قد تدفع حركة طالبان نحو تأزيم علاقتها مع الصين فيما يصب في مصلحتها من خلال دعم الحركات الإسلامية الإيغورية الانفصالية للتأثير في مشروع

145. المصدر السابق

146. What is ETIM, the Uyghur extremist group China wants Taliban to crack, down on, RAGHAV BIKHCHAN-DANI 27 August, 2021, <https://2u.pw/JmFL9>

147. المصدر السابق

148. المصدر السابق

149. الحركة الإسلامية الأوزبكية - Islamic Movement of Uzbekistan، من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، <https://2u.pw/nFGPB>

150. Terrorist Groups in Afghanistan -Clayton Thomas, Analyst in Middle Eastern Affairs, August 17, 2021, <https://2u.pw/mUmtT>

151. الحركة الإسلامية الأوزبكية - Islamic Movement of Uzbekistan، من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، <https://2u.pw/nFGPB>

152. The Point :What is ETIM, the Uyghur extremist group China wants Taliban to crack down on The East

Turkestan Islamic Movement (ETIM) is an extremist group of native Uyghurs who wish to establish a separate country called 'East Turkistan'. RAGHAV BIKHCHANDANI 27 August, 2021 <https://2u.pw/JmFL9>

الصين العملاق "طريق الحرير" الذي ترى أمريكا أنه يعزز من هيمنة الصين على العالم، ويسهم في تقسيم أوروبا. لكن هذه الفرضية لا يوجد ما يثبتها ويشدد عليها، خاصة أن التحركات الصينية، وتحديدًا خلال العامين الفائتين، ثم بالتزامن مع صعود حركة طالبان والموقف الصيني الداعم والمتعاون معها، لا تنبئ عن تدهور في العلاقات بين الحركة والجانب الصيني؛ بل يمكن استقراء تنامي إيجابي للعلاقات بين الجانبين.

## خامسًا: الشيعة الهزارة وتخوفات إيران

عرفت العلاقة بين مجتمع البشتون المهيمن في أفغانستان والسني المذهب من جهة ومجتمع الهزارة الأقلية الشيعي المذهب من جهة أخرى على امتداد تاريخهما في الجغرافيا الأفغانية، كثيرًا من الصدام، وقليلًا من الاحتواء والود، التي لا تزال محفورة في المخيال الجمعي لآلاف الهزارة رغم قدمها، ويذكر أن الآلاف من الهزارة قد خضعوا للاستعباد، وتعرضوا للقتل على يد الملك البشتوني عبدالرحمن خان (1844-1901)، وذلك لثورتهم ضد حكمه.<sup>153</sup>

رغم ذلك، كانت الأقلية الشيعية الأفغانية من الهزارة والقرزلباش في بدايات الغزو السوفييتي نشطة مثل السنة في مقاومتهم، لكن قادة الشيعة كانوا أكثر انقسامًا من السنة، ومثلت ولاءاتهم لإيران سببًا رئيسيًا في زيادة رقعة الانقسام داخل الهزارة، فسارع بعضهم مع ظهور آية الله الخميني ودوره التعبوي في الثورة الإيرانية 1979، وبزوغ نجمه قائدًا لها، إلى إعلان تبعيتهم له بوصفه زعيمًا سياسيًا ودينيًا، وأسهم هذا الاقتداء والتبعية لإيران وشيعتها في تحول الشيعة الهزارة إلى نسخة أكثر تشددًا مقارنة بتاريخها السابق في أفغانستان<sup>154</sup>، سواء تجاه الأغلبية السنية وتنويعاتها في الداخل، أو تجاه الدولة التي تعارض توجهاتها الدينية الأصولية الشيعية الجديدة، التي باتت تستلهم روحها من نموذج إيران الإسلامية الشيعية.

كان آية الله السيد علي بهشتي قد أنشأ عام 1979، في مقاطعة وارس بإقليم باميان، الذي تغطنه غالبية شيعية، المجلس الإسلامي الموحد (شورى الاتفاق الإسلامي)، وأسس أيضًا الشيخ محمد آصف المحسني القندهاري الحركة الإسلامية في أفغانستان عام 1978، وتركزت حول أتباعها في قندهار وكابل. ونظرًا إلى الدور التقريبي بين الشيعة والسنة الذي كان يقوم به المرجع الشيعي المحسني في الداخل الأفغاني، تدهورت العلاقة بينه وبين إيران، إلى أن طردت الأخيرة أتباع محسني عام 1980؛ لرغبته في وقف نفوذ الخميني السياسي على أتباعه، واقتصرهم على الجانب الديني منه وحسب، وهو ما لم ترتضه إيران.<sup>155</sup>



تجمع للشيعة الهزارة في أفغانستان سنة 2014 لإحياء الذكرى السنوية لرحيل قائدهم عبد علي مزارى، تصوير وكيل كوهسار، أ.ف.ب.

NEWS WEEK WORLD, China Seeks Taliban Promise to Wage War on Uighur Fighters in Afghanistan, BY

TOM O'CONNOR ON 7/28/21, <https://2u.pw/0IcEp>

Financial Times, Afghanistan's Shia are fearful in face of Taliban takeover. <https://2u.pw/JMxt5>

المصدر السابق

كانت أولى المنظمات الشيعية التي تتبع إيران تبعية مباشرة هي منظمة النصر الإسلامي، ويرجع تأسيسها إلى عام 1979، ثم تم تغييرها لاحقاً إلى (شباب الهزارة) بعد أن تلقت مساعدة مالية وعسكرية من إيران، وعملت "النصر" كمنظمة أم انبثقت منها مجموعات أصغر، تحت قيادة مجموعة من الأصوليين الشيعة، من بينهم كريم خليلي، ومير صادقي تركماني، وعبد علي مزارى، ثم أنشئت منظمة أخرى في أواخر عام 1979، وهي القوة (القاهرة)، بقيادة قاضي صفا كريمي.<sup>156</sup>

نظر الإيرانيون إلى الغزو السوفيتي لأفغانستان على أنه يمثل الوضع الأكثر ملاءمة لتوطيد نفوذهم في أفغانستان وتوسيعه، فعملوا على دعم الأقلية الشيعية "الهزارة"، ثم عملوا على توحيدهم تحت مظلة واحدة "منظمة نصر".<sup>157</sup>

لكن محاولات إيران لتوظيف الشيعة الأفغان لم تفلح بقدر كبير، وشعر الإيرانيون بخيبة أمل إزاء تحركاتهم تلك، خاصة بعد إنفاق كثير من الأموال، ومن دعم عسكري ليس بالقليل، وفي عام 1982 أرسل الإيرانيون وفداً للتحقيق فيما أنفق على شيعة الهزارة، وما حققوه خلال الفترة السابقة، إلا أنهم وصلوا إلى قناعة أنه من المستحيل تحقيق أي شيء من خلال توظيف الأطراف الأفغانية الشيعية، وأن عليهم المضي في رسم إستراتيجية جديدة لتحقيق أهدافهم هناك، كان من بينها إنشاء الحزب الإسلامي عام 1983 الإيراني، تحت قيادة "الشيخ أكبري" بالهيكلية والتنظيم أنفسهم اللذين كان عليهما الحزب الثوري الإسلامي الإيراني في ذلك الوقت، واقتصرت عضويته على الشيعة الأفغان.<sup>158</sup>

في موازاة ذلك تكاثرت الأحزاب والحركات والتيارات داخل الأقلية الشيعية الهزارية، ونتج عنه أن أصبح الاقتتال الداخلي شائعاً، ما أدى إلى وفاة نحو 26,000 من الهزارة، وهو رقم يتجاوز عدد قتلاهم في أثناء الحرب السوفيتية.<sup>159</sup>

في المقابل، ومع سنوات الاقتتال الداخلي، أصيب الهزارة بخيبة أمل من إيران، ولجأ بعضهم إلى الهجرة، واللجوء إلى باكستان وليس إيران، وأصبح أي أمل بتشكيل جبهة موحدة بينهم غير واقعي أكثر مما كان لدى التنظيمات السنية التي كانت تتقاتل بينها أيضاً عقب الانسحاب السوفيتي، إلى أن دعت إيران عام 1985 إلى وقف الاقتتال الشيعي الشيعي، وبالفعل أعلنت الحركة الإسلامية، ومنظمة النصر الإسلامية، والجبهة الثورية المتحدة، وحرس الجهاد الإسلامي، وقف إطلاق النار فيما بينها<sup>160</sup>، وطوبت هذه الصفحة المتقاربة بشكل كبير في إحدائياتها مع الحالة السنية التي كانت تعيش الحالة نفسها قبل وصول طالبان إلى السلطة، وتشكيل إماراتها الأولى.

الذي نتلمسه من هذا العرض التاريخي الموجز للأقلية الشيعية في أفغانستان، وتحديداً الهزارة في إشكالية علاقتها مع الدولة الإيرانية، أن السمة العامة لها هو الانقسام والانشطار؛ بسبب تعدد ولاءاتها الخارجية، وتقليدية مرجعياتها؛ ما جعلها تفقد ثقلها القبلي وتموضعها في الداخل الأفغاني، وتكون ضحية لمجمل التحولات التي عايشتها الدولة الأفغانية على مدار تاريخها المعاصر، بيد أن ذلك لا ينفى وجود تيار شيعي وطني وقف أمام تأثيرات التوظيف الإيراني وسياساته الإقليمية منذ الثورة الإيرانية عام 1979 حتى يومنا هذا.

وفي فترة إمارة حركة طالبان الأولى، في الفترة بين عامي 1996 و2001، أفادت تقارير حقوقية بوقوع انتهاكات واسعة النطاق ضد المدنيين الهزارة، واستمرت الهجمات الموجهة إلى الهزارة حتى بعد طرد طالبان من كابول، وازداد الأمر سوءاً مع ظهور تنظيم ولاية خراسان الذي وضع الأقلية الشيعية على رأس أهدافه.<sup>161</sup>

في خضم معاركها مع الأحزاب الشيعية الأفغانية المعارضة لها والمالية لإيران في أثناء حكمها، خاصة مع اجتياحها أهم معاقل الشيعة في ولاية باميان، لم توسع حركة طالبان، القتال وتستهدف عموم الأقلية الشيعية، إذ

156. Financial Times, Afghanistan's Shia are fearful in face of Taliban takeover. <https://2u.pw/JMxt5>

157. Kakar, M. Hassan Afghanistan: The Soviet Invasion and the Afghan Response, 1979-1982. Berkeley: University of California Press, c1995 1995. <https://2u.pw/5n5mJ>

158. المصدر السابق

159. Kakar, M. Hassan Afghanistan: The Soviet Invasion and the Afghan Response, 1979-1982. Berkeley: University of California Press, c1995 1995. <https://2u.pw/5n5mJ>

160. Financial Times, Afghanistan's Shia are fearful in face of Taliban takeover. <https://2u.pw/JMxt5>

161. ملامح المشروع السياسي لطالبان، كرم الحفيان، المركز المصري للدراسات، يوليو، 2019. <https://2u.pw/ijjdi>

كانت تميز بين قتالها لأحزاب بعينها تناصبها العداء، ومواجهة قياداتها ونخبها، وبين عموم الأقلية الشيعية التي تميز خطاب طالبان إزاءها بالود والطمأنينة، وهو ما أسهم كثيراً في نزع فتيل صدام سني شيعي على الأرض الأفغانية، كانت تدفع نحوه الولايات المتحدة الأمريكية حسب شهادة القيادي الطالباني ذبيح الله مجاهد، بأن أمريكا كانت تسعى من خلال دوائر استخباراتها إلى "تكرار تجربة العراق في أفغانستان" من خلال إشعال الخلافات العصبية والتناحر فيما بين المذاهب في المجتمع الأفغاني.<sup>162</sup>

هذا الموقف كان كفيلاً- مع التحولات التي شهدتها الساحة الأفغانية في السنوات الأخيرة- أن يفسر لنا انضمام بعض المجموعات الشيعية المقاتلة إلى القتال جنباً إلى جنب مع قوات طالبان عام 2016 في ولاية باميان، عقر دار الطائفة الشيعية في أفغانستان.<sup>163</sup>

وهو ما كان له أثر كبير بعد عودة طالبان إلى الحكم عقب خروج القوى العسكرية الغربية، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، في تضيق الهوة بين الحركة والشيعية الهزارية، وقبل تشكيل الحكومة الطالبانية الجديدة "المؤقتة" كان شيعة أفغانستان يساورهم القلق بشأن مستقبلهم، وشكك بعضهم في وعود طالبان لهم بالتسامح<sup>164</sup>، إلا أن تشكيل الحكومة بعد ذلك دون أن تضم أحداً من الشيعة الأفغان قد يفتح النقاش مجدداً بشأن مستقبلهم السياسي والمجتمعي في الإمارة الثانية لحركة طالبان.

## سادساً: طالبان والإخوان المسلمون

تعود جذور جماعة "الإخوان" (منظمة إرهابية محظورة في روسيا) في أفغانستان إلى أيام الجهاد الأفغاني<sup>165</sup>؛ إذ كان من بين هذه الجماعات التي تقاوم الوجود الشيوعي السوفيتي وأنصاره في الداخل الأفغاني منتمون إلى الإخوان، أمثال برهان الدين رباني، رئيس الجمعية الإسلامية، وقائده العسكري الشهير أحمد شاه مسعود، إضافة إلى عبد رب الرسول سياف، خريج الأزهر وقائد حزب الاتحاد الإسلامي. وكانوا بعد ذلك نواة الاقتتال والتناحر بين المكونات الإسلامية في أفغانستان بعد انسحاب السوفيت من أفغانستان، وهو الاقتتال الذي كان سبباً بعد ذلك في ظهور طلبة العلوم الشرعية من طالبان بزعامة الملا محمد عمر من أجل التدخل وحسم الصراع.<sup>166</sup>

وبسبب العلاقة بين الإخوان في أفغانستان والفصائل الجهادية التي حاربتها طالبان واختلقت معها، توترت العلاقات نسبياً بين الإخوان وطالبان، إلى أن أطيح بحكم طالبان عقب الغزو الأمريكي للبلاد عام 2001 وإبعادهم عن السلطة. حاولت جماعة الإخوان أن تستفيد من السياق السياسي الجديد الذي لا يوجد فيه طالبان لتعيد تموضعها مجدداً من خلال تأسيس "الجمعية الأفغانية للإصلاح والتنمية الاجتماعية" بعد عام واحد من الغزو الأمريكي، وتحديدًا عام 2002، لتكون معبراً عن الوجود الإخواني الجديد في الداخل الأفغاني.<sup>167</sup>

واقصر نشاط الجمعية على مجالين اثنين، الأول في مجال التعليم، فتم تأسيس أكثر من عشر مدارس تعليمية حديثة في محافظات وولايات مختلفة من أفغانستان، بالإضافة إلى أكثر من أربعة معاهد لتعليم النساء، لتخريج المعلمات في مناطق مختلفة أيضاً، ومدارس أخرى لتدريس العلوم الشرعية، وبعض المعاهد التي تهتم بتعليم الصبية من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الثانوية.<sup>168</sup>

162. المصدر السابق

163. Financial Times, Afghanistan's Shia are fearful in face of Taliban takeover. <https://2u.pw/JMxt5>

164. مجلة المجتمع، رحبوا بانتقال السلطة لـ "طالبان" سلمياً.. ماذا تعرف عن مؤسسات "الإخوان" في أفغانستان؟، تقرير: يوسف أحمد، الخميس، 19 أغسطس، 2021. <https://2u.pw/mjdde>

165. الجزيرة مباشر، مقالات، صعود طالبان.. يعمق أزمة الإخوان، سمير العركي، 19/8/2021، <https://2u.pw/jktCz>

166. مجلة المجتمع، رحبوا بانتقال السلطة لـ "طالبان" سلمياً.. ماذا تعرف عن مؤسسات "الإخوان" في أفغانستان؟، تقرير: يوسف أحمد، الخميس، 19 أغسطس، 2021. <https://2u.pw/mjdde>

167. جريدة الشرق الأوسط - جريدة العرب الدولية الصادرة في لندن، «جمعية الإصلاح» في كابل.. الوجه الآخر لـ«إخوان أفغانستان»، الرئيس العام عبدالصبور فخري لـ {الشرق الأوسط}: نشاركهم الفكر والمنهج.. ونحن البديل الحقيقي لمشروع الجهاديين والمتطرفين، الجمعة، 18 جمادى الآخرة

1435 هـ - 18 أبريل 2014، رقم العدد [ 12925 ]، كابل، محمد الشافعي، <https://2u.pw/tWvle>

168. المصدر السابق



من اليمين إلى اليسار: برهان الدين رباني، أحمد شاه مسعود وعبدالله الرسول سياف.

والثاني: المشروعات الإعلامية، فأصدرت الجمعية أربع مجلات دورية، أولها: (إصلاح مللي)، وتصدر بالفارسية والبشتو، وهي تعني بالعربية (الإصلاح القومي). والثانية: مجلة (معرفة)، وهي مجلة شهرية باللغة الفارسية، ومجلة الثالثة اسمها «جوان» بالبشتو، وتعني (الحياة)، وهناك أيضًا مجلة اسمها (بيان الإصلاح) أو (رسالة الإصلاح)، وهي نصف شهرية، بالإضافة إلى إذاعة (إف إم) اسمها (الإصلاح).<sup>169</sup>

رحبت جمعية الإصلاح الأفغانية بتقدم طالبان ووصولها إلى السلطة وإخضاعها العاصمة كابول دون إراقة دماء، وبشكل سلمي، وبدون تدمير للمؤسسات والمرافق العامة، حسب ما ورد في بيانها الذي أصدرته عقب التطورات السياسية الأخيرة التي سبقت تشكيل طالبان للحكومة الأفغانية الجديدة، ليس ذلك وحسب؛ ففي البيان الذي كان أشبه بمغازلة الحركة، أشادت الجمعية بما سمته بـ "التعامل الطيب" لحركة طالبان مع مخالفيها، وعلى هامش مشهد زحام المئات من الشعب الأفغاني في مطار كابول، دعت الجمعية الإخوانية جميع الكوادر العلمية والمتخصصة الأفغانية إلى عدم الخروج من البلاد، وإلى المساهمة بما يملكون من خبرات ومهارات في بناء أفغانستان الحديثة<sup>170</sup>، فيما بدا وكأنها رسالة من الجانب الإخواني للحركة بأنها ترغب في أن تكون جزءًا من المشهد السياسي الأفغاني مستقبلاً في ظل تشكل الإمارة الثانية لحركة طالبان في أفغانستان، وقطع الصلة عن كل ما يمكن أن يكر صفو العلاقة بينهما في المرحلة القادمة.

169. وكالة قدس برس انترناشيونال للأنباء، الإخوان المسلمون في أفغانستان يرحبون بانتقال السلطة لـ "طالبان" سلمياً، الثلاثاء 17 أغسطس،

<https://2u.pw/tr8PM.2021>

BBC News- By Petr Kozlov & Anna Rynda, BBC Russian, Moscow, 21August2021, <https://2u.pw/9b7Vb> .170

# حركة طالبان وروسيا وآسيا الوسطى

كانت الدولة الروسية من الدول القلائل التي لم تنزعج أو تتخوف من التطورات الحادثة في المشهد الأفغاني مع صعود حركة طالبان على المستويين السياسي والعسكري، ولم تكتثر بشكل كبير بمسألة حماية مواطنيها وسفارتها ورعاياها في الداخل الأفغاني، ولا يعني ذلك أن الأمر لا يعنيه؛ بل كانت مطمئنة- إلى حد كبير- إلى ما ستفضي إليه تطورات المشهد الأفغاني من جهة، وأن سفارتها ودبلوماسيها ورعاياها لن يكونوا في خطر مع وجود طالبان العسكري بالقرب منهم من جهة أخرى.<sup>171</sup>

لقد كانت سفارة روسيا في مأمّن عقب دخول طالبان العاصمة كابول، تحت حراسة مقاتلي حركة طالبان، وهو ما ذكره دميتري جيرنوف، سفير روسيا في كابول، من أن حراس سفارته الجدد من طالبان تركوا انطباعاً جيداً، وكانوا رجالاً محترمين ومسلحين تسليحاً جيداً أيضاً<sup>172</sup>، وهو ما دفع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين إلى القول: "إن استيلاء طالبان على السلطة كان حقيقة يتعين العمل معها". وكذلك كانت الدبلوماسية الروسية تنظر إلى الحدث باعتباره ذا أهمية كبرى، وأن العاصمة أصبحت أكثر أماناً الآن من ذي قبل.<sup>173</sup>

كانت لدى موسكو في السنوات الأخيرة إستراتيجية واضحة في التعامل مع الملف الأفغاني، عكس قربها منه إلى الحد الذي جعل لديها تصورات واضحة لما ستؤول إليه الأمور مستقبلاً، انطلاقاً من قراءتها لمعطيات المرحلة السابقة، وهو ما تحقق بعد ذلك من سقوط الحكومة الأفغانية، وإحلال طالبان بديلاً عنها في الحكم.

في موازاة ذلك، وفي خضم تطورات المشهد الأفغاني والتحولت السياسية المتسارعة داخله، نشطت التحركات الروسية على كل المستويات تجاه الملف الأفغاني، بدأت بقاء السفير دميتري جيرنوف أحد ممثلي طالبان، وقد أكد عقب اللقاء أن مقاتلي طالبان لا توجد لديهم نية على القيام بأي أعمال انتقامية أو عنف، ثم تنبؤ ممثل موسكو في الأمم المتحدة فاسيلي نيبينزيا بما سماه بـ "مستقبل مشرق للمصالحة الوطنية"، وذلك مع عودة القانون والنظام إلى الشوارع، فيما جاءت زيارة زامير كابولوف، المبعوث الخاص للرئيس بوتين، إلى أفغانستان عقب الأحداث، لتؤكد أن التفاوض مع طالبان أسهل من التفاوض مع ما سماها بـ "الحكومة العميلة القديمة للرئيس المنفي أشرف غني، حسب وصفه.<sup>174</sup>

بيد أنه مع هذا التحرك الروسي النشط تجاه حركة طالبان، فإن روسيا لا تتسابق للاعتراف بحركة طالبان، لكن هناك تحولاً يمكن تلمسه في شكل الخطاب الروسي تجاه الحركة وطبيعته وطريقته، مع أن موسكو لا تزال تضعها في القائمة الروسية للمنظمات الإرهابية والمحظورة منذ عام 2003.<sup>175</sup>

انخرطت روسيا في عملية السلام الأفغانية منذ انطلاقها عام 2018<sup>176</sup>، واستضافت موسكو على إثرها كثيراً من أعضاء الحركة في مباحثات تجمع بينهما تتعلق بمستقبل المشهد السياسي الأفغاني، وهو ما أثار آنذاك نقداً روسياً من الحكومة الأفغانية السابقة، خاصة مع إصرار موسكو على استبعاد الحكومة الرسمية من محادثاتها التي استمرت ثلاث سنوات.<sup>177</sup>

كان هدف موسكو الأساسي أداء دور إقليمي بارز في كابول، بالإضافة إلى محاصرة تمديدات التطرف الديني، وانعدام الأمن في المشهد الأفغاني، والحيلولة دون تداعيات ذلك على روسيا ودول آسيا الوسطى.<sup>178</sup>

كان لظهور ولاية خراسان الداعشية (منظمة إرهابية محظورة في روسيا) منذ عام 2015 عميق الأثر في تحول العلاقة بين الجانبين؛ إذ تقدمت المصلحة على أي اعتبار آخر، إلى أن اتهمت الولايات المتحدة الأمريكية موسكو بتزويد

171. The New York Times, With afghan collapse Moscow takes charge in cinteral asia, By Andrew E. kramer and Anton Troianovski, Aug 19, 2021, <https://2u.pw/HapMx>

172. Afghan crisis: Russia plans for new era with Taliban rule, By Petr Kozlov & Anna Rynda, BBC Russian, Moscow, Published 21 August, <https://2u.pw/9b7Vb>

173. المصدر السابق

174. المصدر السابق

175. Atlantic Council- The South Asia Center, How Russia, China, and Iran will shape Afghanistan's future, New Atlanticist by Nilofar Sakhi, FRI, JUN 18, 2021, <https://2u.pw/uox5d>

176. Afghan crisis: Russia plans for new era with Taliban rule, By Petr Kozlov & Anna Rynda, BBC Russian, Moscow, Published 21 August, <https://2u.pw/9b7Vb>

177. المصدر السابق

178. Afghan crisis: Russia plans for new era with Taliban rule, By Petr Kozlov & Anna Rynda, BBC Russian, Moscow, Published 21 August, <https://2u.pw/9b7Vb>

طالبان بالسلاح، وهو ما نفاه الجانب الروسي بعد ذلك.<sup>179</sup>

هناك أمر آخر مهم جداً يفسر أسباب الحضور الروسي في المشهد الأفغاني، واستباقها الأحداث والعمل على توطيد علاقاتها مع الحركة، خاصة في السنوات الأخيرة؛ ألا وهو أن إيمانها بأن الانسحاب الأمريكي- الذي كان متوقعاً- والفرغ المحتمل الذي سينتج عنه، سيسمحان لروسيا بإنشاء موطنٍ قدم جيوسياسي في أفغانستان.<sup>180</sup>

وهو أمر يشبه- إلى حد كبير- ما حدث في منطقة الشرق الأوسط، وتحديدًا في الملف السوري- على سبيل المثال- حينما أسهم التراجع الكبير للدور الأمريكي هناك في تعزيز الوجود الروسي، وفرض هيمنته العسكرية والسياسية والاقتصادية، ما جعله المتحكم الأول في هذا الملف على وجه الدقة، وهو أمر تسعى إليه موسكو انطلاقاً من تصورين، أولهما أنها ترى أنها الأجدر بالوجود والحضور والفاعلية في الملف الأفغاني، فهي وريثة الاتحاد السوفيتي وممثلته الوحيدة، وأنها الأحق باستعادة هذا الملف من الولايات المتحدة الأمريكية التي انتزعت منها بفعل الغزو الأمريكي لأفغانستان عام 2001، وثانيهما محاولة فرض طوق أمني على المشهد الأفغاني، خشية أن تؤثر تداعياته الناجمة عن التحولات السياسية والمجتمعية الدينية هناك في دول آسيا الوسطى التي ترى موسكو أنها مسؤولة عنها مسؤولية كاملة، خاصة بعد غياب الدور الأمريكي وانسحاب الولايات المتحدة منذ سنوات من هذه الدول التي كانت ضمن دول الاتحاد السوفيتي السابق، حيث أغلقت القواعد العسكرية الأمريكية الضخمة في قيرغيزستان وأوزبكستان، إلى جانب خط إمداد رئيسي يسمى شبكة التوزيع الشمالية، التي امتدت من أماكن بعيدة، مثل دول البلطيق عبر روسيا وآسيا الوسطى إلى شمال أفغانستان<sup>181</sup>، حتى إن إيديل بيسالوف، سفير قيرغيزستان لدى بريطانيا، وصف ذلك الانسحاب الأمريكي في تصريح صحفي سابق بقوله: "لقد مرت ساعة أمريكا العظيمة في آسيا الوسطى منذ فترة طويلة"<sup>182</sup>.

في المقابل كانت طالبان على وعي كبير بإستراتيجيات المرحلة، وأهمية بناء علاقات جديدة مع دول الجوار واللاعبين الفاعلين في الإقليم، ففي آخر جولة محادثات روسية مع طالبان في موسكو، في يوليو (تموز)، تعهدت الحركة بأن مكاسبها العسكرية لن تشكل تهديداً لروسيا، أو مصالحها في دول آسيا الوسطى<sup>183</sup>؛ ما يعني أن موسكو حصلت على تأكيدات من طالبان أنها لن تهدد حلفاءها الإقليميين، وأنها ستواصل محاربة مقاتلي داعش.<sup>184</sup>

## تشكيل الحكومة وإعلان الإمارة الثانية

تسارعت وتيرة الأحداث في المشهد الأفغاني، ونجحت حركة طالبان في بسط سيطرتها على التراب الأفغاني كله، خاصة بعد قضائها على جيوب المقاومة التي كان أحمد مسعود، نجل القائد العسكري السابق أحمد شاه مسعود، يتزعمها في الشمال الأفغاني؛ ما دفعها إلى إعلان تشكيل حكومة مؤقتة تهدف إلى تسيير الأعمال؛ ومن ثم إعلان تحول البلاد إلى إمارة إسلامية- الإمارة الثانية- تحت حكم حركة طالبان.<sup>185</sup>

واللافت في تشكيل الحكومة الطالبانية أنها تمخضت عن الحركة، ولم تحو عدداً من الوجوه والشخصيات الأخرى من خارجها؛ وهو ما أثار موجة من الانتقادات والاعتراضات على ما أقدمت عليه الحركة فيما رآه مخالفاً لوعود التطمينات التي كانت الحركة تطرحها، وتأكيداتها أنها ستكون معبرة عن التنوع العرقي والقبلي والديني في الداخل الأفغاني<sup>186</sup>، خاصة أن بعض الحقايب الوزارية والخدمية التي تضمنتها الحكومة الجديدة ضمت عدداً من الأسماء التي تحمل كثيراً من علامات الاستفهام عن علاقاتها بشبكات الجهادية العالمية، مثل سراج الدين حقاني، الذي شغل منصب وزير الداخلية في الحكومة الجديدة، وهو المطلوب أمريكياً بتهم تتعلق بالإرهاب- وتحديدًا صلته بتنظيم القاعدة- والذي يتزعم "شبكة حقاني"، وهي فصيل عسكري داخل حركة طالبان صنفته الولايات المتحدة الأمريكية منظمة إرهابية، وتنسب إليه تنفيذ كثير من الأعمال العسكرية الأكثر دموية في تاريخ حركة طالبان، فيما تنفي الحركة وجود ذلك الفصيل، وتؤكد وحدة الحركة والقيادة.<sup>187</sup>

179. Atlantic Council- The South Asia Center, How Russia, China, and Iran will shape Afghanistan's future, New

Atlanticist by Nilofar Sakhi, FRI, JUN 18, 2021, <https://2u.pw/uox5d>

180. The New York Times, With afghan collapse Moscow takes charge in cinteral asia, By Andrew E. kramer and

Anton Troianovski, Aug 19, 2021, <https://2u.pw/HapMx>

181. المصدر السابق

182. المصدر السابق

183. The New York Times, With afghan collapse Moscow takes charge in cinteral asia, By Andrew E. kramer and

Anton Troianovski, Aug 19, 2021, <https://2u.pw/HapMx>

184. بي بي سي- عربي، أفغانستان تحت سيطرة طالبان: الحركة تعلن السيطرة على وادي بانشير وجبهة المقاومة تقول إنها تواصل القتال، 6

سبتمبر / أيلول، 2021. <https://2u.pw/RXOKI>

185. المصدر السابق

186. المصدر السابق

187. بي بي سي- عربي، أفغانستان تحت سيطرة طالبان: الحركة تعلن السيطرة على وادي بانشير وجبهة المقاومة تقول إنها تواصل القتال، 6

سبتمبر / أيلول، 2021. <https://2u.pw/RXOKI>

# الخلاصة

قدمنا خلال هذه المادة تشريحاً سوسولوجياً لحركة طالبان الإسلامية الأصولية السنية، وقدمنا قراءة في العقل الطالباني، لفهم وجهته المقاصدية ورؤيته تجاه عدد من الحركات والتيارات الإسلامية من حوله، وعرجنا إلى شكل الإمارة الإسلامية التي تطرحها الحركة وماهيتها، إلى أن جاء تشكيل الحكومة وإعلان الإمارة الإسلامية الثانية لحركة طالبان، ليعلن مرحلة جديدة من تاريخ أفغانستان المعاصر. ونستخلص بعد هذا العرض السابق، ومجمل التحليلات والأفكار التي قدمناها آنفاً، جملة من الاستنتاجات نجلها على النحو التالي:

## أولاً:

تعد طالبان في نسختها الجديدة وإمارتها الثانية حركة إسلامية محلية، ليس لها علاقة بالجهادية المعولمة ولا تتقاطع معها، لكنها تسعى إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، وجعلها الركيزة الأساسية التي تنطلق منها رؤيتها السياسية، والمجتمعية، والاقتصادية، وغيرها، وما يمكن ذكره في تباين آليات تطبيق الشريعة بين حكم طالبان في إمارتها الأولى والثانية، يتمثل في أنها لن تنزع نحو تقديم قطع يد السارق، ورجم الزاني، وما شابه، ضمن مشهد احتفالي، أو على رءوس الأشهاد، كما كان يحدث في السابق؛ وإنما ستلجأ إلى مواربته، وعدم تسليط الضوء عليه؛ لتفادي تداعياته مع المجتمع الدولي، وهو ما لا تريده أو تسعى إليه في اللحظة الراهنة، ولا يعني ذلك عدم قيامها بذلك، ولكنها تسعى جاهدة إلى الاصطدام بالمجتمع الدولي، خاصة الغربي منه، لتعبر هذه المرحلة دون ضجيج حولها.

## ثانياً:

ستحتفظ الحركة برؤاها الأصولية وممارساتها التي كانت إبان فترة حكمها الأول، ويخطئ من يظن أنها ستتخللها تصورات ليبرالية أو تحريرية، خاصة في ملفات مثل شكل اللباس الإسلامي والحجاب/ البرقع/ النقاب وغيرها، أو الفصل بين الجنسين، وغير ذلك من التظاهرات الإسلامية التقليدية في المجتمع الأصولي المحافظ؛ بل ستعمل على تعزيزه والتشديد عليه؛ لأنها تنظر إلى تلك الملفات على أنها ثوابت لا يمكن للحركة أن تقايس عليها، وإنما ستبدي مرونة في تحركات أخرى تتعلق بتعليم المرأة وعملها، ولكن دون تصعيدها سياسياً، فقط توظيفها مجتمعياً كمعلمة/ طبيبة... إلخ، في سياقات مجتمعية محلية، وهنا تتمازج الرؤية الدينية الأصولية مع الطبيعة القبلية البشتونية، وهو ما يجعلنا لا نستشرف مستقبلاً للمرأة الأفغانية مشابهاً لما في الدول الوطنية الحديثة والمعاصرة، وستحكم مستقبلها هذا ضوابط دينية، وقبلية، وجغرافية.

## ثالثاً:

يمكن القول إن حركة طالبان صادقة في وعودها مع المجتمع الدولي في اعتزامها منع استخدام الجماعات/ الحركات/ التيارات الإسلامية- الانفصالية منها وغيرها- أراضي أفغانستان لشن عمليات، أو تنفيذ ضربات عسكرية وتفجيرات ضد الداخل والخارج على حد سواء، وهي الأجر بالقيام بهذه المهمة في اللحظة الراهنة، ويراهن عليها كثيرون في أداء هذا الدور الذي عجزت عن تحقيقه الحكومة الأفغانية السابقة، وهو ما سيجعل طالبان أكثر حماسة في تحقيق نجاحات فيما أخفق فيه غيرها، إلا أن ملف القاعدة بالنسبة إلى طالبان يظل ملفاً معقداً ومتشابكاً في آن معاً، فالحركة بالفعل لن تسمح باستخدام القاعدة أراضيها، لكنها لن تقف أمام طموحاتها التوسعية في الإقليم، ولن تقاها يوماً في المستقبل المنظور، وهو ما يجعل الحركة دائماً في موطن الشك والترقب لتعاملها مع القاعدة على وجه الخصوص.

## رابعاً:

العقل الطالباني هو مزيج من ثلاثة مكونات رئيسية كانت سبباً رئيسياً في تشكل تصورات الأيديولوجية المحركة

لمسارته السياسية والاجتماعية، أولها الجانب التعليمي المدرسي، المتمثل في تأثيرات المدرسة الديوبندية، ثم التأثر بكتابات الآباء المؤسسين للحركة الإسلامية المعاصرة، ممثلين في المودودي وسيد قطب اللذين ترجم الأفغان كتبهما ونقلوها إليهم، ثم الندوي المخالف لتصوراتهما. ونظراً إلى التباين الفكري بين هؤلاء الثلاثة، استقت الحركة بعض أفكارهم، ولكنها عملت على المزاجية بين التناقضات الناجمة عن المفكرين الثلاثة، وصهرتها في بوتقتها التي شكلت بعد ذلك حركتها، ثم البعد القبلي الذي كان له عظيم الأثر في توجهات الحركة، خاصة في مسائل تتعلق بمناصرة المظلوم، ومواجهة المحتل، وتقديم الحماية لطالب اللجوء، وما شابه، ولقد دفعت الحركة ثمنًا باهظًا من جراء ذلك، بعد رفضها تسليم قادة تنظيم القاعدة للولايات المتحدة الأمريكية؛ ما دفعها إلى غزو أفغانستان بعد ذلك واحتلالها أكثر من عشرين عامًا.

## خامسًا:

تتعدى تأثيرات وصول طالبان إلى الحكم الإقليمي، خاصة في تجاوزها المشروع الإسلامي الجهادي على اختلاف تنوعاته المنهجية والفكرية والأيدولوجية، وذلك على مستويين اثنين، أولهما: يقدم مشروع الإمارة الإسلامية موقفًا مناهضًا لفكرة الخلافة الإسلامية الجامعة التي يطرحها نموذج داعش، ما يجعلنا أمام معركة حقيقية بين نموذجين للتشكل الإسلامي الجماعتي الراديكالي الراغب في تدشين دولة/ خلافة إسلامية، وسيجعل كل فريق يسابق في تقديم براهينه وأدلته على حجيته، فيما يسبغ على مشروع كل منهما الشرعية، ما يعني مزيدًا من المعارك الفكرية والعسكرية، وهو ما يقدم تفسيرًا واضحًا في وصف داعش لحركة طالبان بأنها حركة وطنية مرتدة إسلاميًا.

وثانيهما أن النموذج الأكثر تأثيرًا والأكثر قربًا لتحقيق أو استنساخ التجربة الطالبانية، هو التنظيمات الريفية والتابعة والمنبثقة عن تنظيم القاعدة، التي تعمل بشكل مركزي في جغرافيات محددة، سواء في إفريقيا، أو آسيا وأسيا الوسطى، أو الهند، أو الشرق الأوسط، وغيرها.

## سادسًا:

علاقة طالبان بالحركات الإسلامية السنية في الداخل الأفغاني، سواء أكانت التيارات السلفية بتنوعاتها المختلفة أم الإخوان، سترتكز بشكل صارم على إلزامها التبعية المباشرة لأوامر الإمارة الإسلامية وتعليماتها وقوانينها، وعدم تبعيتها لأي من المرجعيات السياسية والفكرية غيرها؛ ما ينجم عنه ضرر لمشروع طالبان وإعاقة له، خاصة في الوقت الحالي الذي تسعى خلاله الحركة إلى تحقيق وإثبات وجودها أمام الداخل والخارج على حد سواء، لا سيما بعد انسحاب القوى العسكرية الغربية من أفغانستان.

والأمر نفسه ينطبق على الأقلية الشيعية في الداخل الأفغاني؛ إذ بدر منها ما يشير إلى علاقات أجنبية، وتحقيقها لأجندات خارجية سينعكس على العلاقة بينها وبين الحركة، شأنها في ذلك شأن الجماعات والتيارات السنية الأخرى.

## أخيرًا:

معركة طالبان الحقيقية في المستقبل المنظور تتمثل في تحقيق أمرين اثنين، أولهما: مدى قدرتها على التسيير الحكومي والإداري للبلاد، وتحقيق الأمن والاستقرار بعد أشهر من الاضطراب والقلق السياسية، وثانيهما: السعي نحو تحقيق نجاح عسكري ملموس في مواجهة ولاية خراسان، وإضعاف نفوذها على الأقل في الجغرافيا الأفغانية، وفي حال تحقق ذلك ستعمق صلتها وعلاقاتها الأمنية بدول الجوار، لنقل المعركة مع التنظيم إلى مساحة مغايرة، ومحاصرته في مواطن نفوذه، وهو ما سينعكس إيجابًا على الحركة في علاقتها مع دول الجوار والقوى الإقليمية، وكسب ثقتهم، ما يدل على نجاحها في الاختبار الصعب، وهو ما سعت إليه وطمحت نحوه كل من باكستان، والصين، وروسيا على وجه الخصوص.

**CAES**  
مركز الدراسات  
العربية الأوراسية



[WWW.EURASIAAR.ORG](http://WWW.EURASIAAR.ORG)  
[COMMUNICATIONS@EURASIAAR.ORG](mailto:COMMUNICATIONS@EURASIAAR.ORG)